المكان وخطاب الاستبعاد الاجتماعى في الرواية المصرية

دراسة في علم اجتماع الأدب

د. همت بسيوني عبدالعزيز

أستاذ علم الاجتماع المساعدكلية الاداب

جامعه كفر الشيخ

ملخص الدراسة :

تمثل الهدف الرئيس للدراسة الراهنة في محاولة رصد العلاقة بين المكان وخطاب الاستبعاد الاجتماعى كما تتناولها الرواية المصرية، و تمت الاستعانة بالاتجاه التأويلى كتوجه نظري للدراسة ،إضافة لمنهجية تحليل النص التى تم تطبيقها على عينة الدراسة المتمثلة فى النص الروائى "يوتوبوبيا" للكاتب أحمد خالد توفيق. وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها: الكشف عن الخصائص والسمات الفيزيقية والاجتماعية المتعلقة بالمكان بما يسمح بإعادة إنتاجه اجتماعيا مرة أخرى داخل النص وهو ما ترتب عليه وجود مكانين داخل النص يمثل كل منهما بيئة مكانية مغايرة للآخرتسهم فى إيجاد أنماط مغايرة من الاستبعاد؛ حيث كشف تحليل النص عن وجود نمطين من الاستبعاد تختلف أسباب قيام كل منهما ومظاهره باختلاف المكان،وتمثل هذين النمطين في: الاستبعاد الجبرى والاستبعاد الإرادى ،وكان للمكان دور فى ظهور خطاب تقليدى للمستبعدين قسريا يتفق والبيئة العشوائية بعادتها وتقاليدها وملامحها العمرانية التى يوجدون فيها ،فى حين ظهر خطاب تغريبي معولم تمثله أهل" يوتوبوبيا" المكان المعولم سواء من الناحية العمرانية أم من الناحية الاجتماعية .

مقدمة:

لايشكل المكان بأية حال من الأحوال الحيز الجغرافى الذى يتواجد به البشر فقط، ولا يقتصر دوره على اعتباره الإطار الذى تجرى فيه أحداث معينة، ولعل تلك الرؤية وما يرتبط بها من تغير لمفهوم المكان هو ما جعل عديد من التخصصات العلمية تنظر نظرة مغايرة للمكان، وما يقوم به من وظائف مختلفة فى حياة البشر. وبهذه الرؤية الجديدة تجاوز المكان المفهوم الجغرافى المعتاد ليصبح ذا أبعاد اجتماعية ونفسية وجمالية، بل وفنية أيضا.

ومن هنا يمكن الحديث عن الأثر الذى يحدثه المكان فى البشر الذين يعيشون فيه، والهيمنة أو السطوة التى قد يمارسها عليهم؛ فكل مكان يطبع سكانه بقيمه وثقافته، تلك الثقافة التى تتشكل فيه ومن خلاله، والتى تطبع قاطنيه بطابع وسمات تميزهم عن غيرهم ممن ينتمون لأماكن أخرى.

من هنا تتضح مشروعية التساؤل التالى:كيف يمكن أن يكون المكان عاملا من عوامل الاستبعاد الاجتماعى فى المجتمع ؟ وما المظاهر المرتبطة بالاستبعاد على أسس مكانية أو ما يطلق عليه الاستبعاد الاجتماعى المكانى ؟

وفى هذا الصدد حاولت الدراسة الراهنة الوقوف على أبعاد هذه العلاقة بين المكان وخطاب الاستبعاد الاجتماعى كما يجسدها النص الروائى "يوتوبيا" للكاتب "أحمد خالد توفيق، وذلك من خلال الاستعانة بكل من الاتجاه التأويلى ومنهجية تحليل النص .

أولاً : مشكلة الدراسة :

تبدو الأهمية المتصاعدة للمكان وللأثر الذى يحدثه فى المجتمع الحديث على مستويين: الأول يتمثل فى الأهمية التى يمنحها الأفراد والجماعات لبعض الأماكن على حساب أماكن أخرى، أما المستوى الآخر فيتمثل فى تصاعد الاهتمام العلمى والأكاديمى من قبل المتخصصين فى مجالات متعددة بدراسة المكان وتأثيراته المختلفة.

هذا، وبالرغم من حداثة علم اجتماع المكان،إلا أننا نلاحظ اهتماما من قبل بعض علماء الاجتماع الأوائل بقضية المكان؛ فقد أوضح"ابن خلدون"تأثير المكان على شخصية وسلوك البشر، وعلى نوعية وأنماط التفاعلات السائدة فيه حينما أكد على أن الإنسان فى المناطق الحضرية "تغلبه مصلحته الشخصية ويميل إلى حب الحياة السهلة، وتنعدم فيه روح التضحية والعمل للمصلحة العامة، وذلك ما يضعف أواصر الجماعة والدولة فيكون بذلك الاضمحلال والزوال...."([1]). لقد أراد ابن خلدون هنا التأكيد على أن المدينة بخصائصها المميزة قد تكون سببا فى ظهور الفردية والأنانية المفرطة وغياب الانتماء والتعاطف مع الآخرين الذى يعد شكلا من أشكال الاستبعاد الاجتماعى.

وهو الأمر الذى أكده "جورج زيمل"حينما ربط بين التفاعلات الاجتماعية والمكان فى مقالته "علم اجتماع المكان"حيث رأى أن التفاعلات الاجتماعية " لها شكل مكاني، كماأن هذه التفاعلات تحول الفضاء/ المكان إلى شيء ذي معنى. وبالرغم من أن الفضاء لا يحدد التفاعلات الاجتماعية بالكامل، وبالرغم من أن بناء الفضاء وتشكله ليس مجرد عملية بنائية اجتماعية، إلا أن المكان يؤثر في نفس الوقت فى تشكيل تجربة الجماعات الاجتماعية"([2]). الموجودة فيه؛ "فالمكان يؤثر بطريقة أو بأخرى على الأفراد والجماعات والفئات الاجتماعية،كماأنه يسهم فى التأكيد على الاختلافات والتسلسلات الهرمية داخل البناءات الاجتماعية المختلفة "([3]) .

أما"ميشال فوكو" في نصّه "أماكن أخرى" فركز على أنّ "العصر الذي نعيش فيه هو عصر الفضاء أو المكان بامتياز. وهذا لا يعني أنّ الإنسان، في العصور التي خلَت، لم يرتبط بالمكان، ولم يصْبُ إلى تمثُّله وإدراكه؛ فقد انصرفت نظرة النّاس الواقعية، في القرون الوسطى، إلى تقديس المكان تارةً وتدنيسه تارةً أخرى، والذود عنه حيناً،وتركه عُرضةً للخطر حينًا آخر، كما انصرفت نظرتهم الكونيَّة إلى المُقابَلة بين المكان السّماوي

والمكان الأرضي. وقد ظلّت هذه النّظرة التّصنيفية للمكان، إلى ثنائيات فضائية مُتعارِضة، قائمةً إلى يومنا هذا" (٤).

وفي سياق آخر درس عالم الاجتماع الفرنسي "هنرى لوفيفر" مفهوم إنتاج المكان من منظور ماركسى، حيث أكد فى كتابه" إنتاج المكان"على كون المكان الاجتماعى نتاجا للمجتمع ولعملية تاريخية تتنامى فى الزمن عبر تمثيلات وممارسات ترتبط بدورها بالمكان الفيزيقى ،وتنتج عنه دون أن تقتصر عليه . المكان الاجتماعى هو إذا إبداع متفرد ومنتج متكرر فى آن، ومفهوم نظرى، وواقع عملى يمكن تناوله – وفقا للوفيفر – من منظورات ثلاثة شديدة الارتباط: الإدراك والتصور والتجربة المعيشة ؛ فالمكان يخضع أولا لعملية إدراك فى إطار جدلية السيطرة والتملك،ثم لعملية تصوروفقا لنظام علامات تنتظم فى خطاب فكرى محكم،ويخضع أخيرا للتجربة المعيشة عبر التمثلات والصور والرموز التى تصاحبه"(٥). وبهذا فإن الفاعلين الاجتماعيين هم من يخلعون أهمية على الأماكن من خلال إضفاء المعانى والتمثيلات الرمزية لأماكن معينة ، وهو ما يعكس علاقات القوة، وتبعا لذلك تحتل فضاءات معينة من العالم المادى المقدمة، فيما تظل جوانب وفضاءات أخرى فى الخلفية (٦).

فى إطار ما تقدم من طرح، يعد المكان نتاجا اجتماعيا وشرطا ضروريا للمعرفة والخبرة والهوية للأفراد والجماعات والمجتمعات، فقد يرتبط المكان بسعادةالإنسان أو بشقاؤه وبؤسه؛ ففى بعض الأحيان يشعر الإنسان بالثقة والفخر،ويكتسب مكانة اجتماعية معينة بانتمائه الوطنى والسكنى والعائلى لمكان ما. وفى أحيان أخرى قد يحدث العكس تماما(٧)؛ فعندما يشعر الأفراد أو الجماعات بالانتماء لمكان ما يزداد اندماجهم فى المجتمع، وحينما تقل هذه المشاعر ويتم استبدالها بمشاعر الاغتراب والانسلاخ عن هذا المكان ، يكون الاستبعاد هو الظاهرة الأكثر وضوحا .

من هنا،تأتى قضية الاستبعاد فى مقدمة القضايا التى ترتبط بالمكان كإطار مادى يتم من خلاله هذا الاستبعاد، وبخاصة فى ظل التطورات التى شهدتها المجتمعات المختلفة تحت وطأة الحداثة ؛ فالاستبعاد كمفهوم أو حتى كظاهرة اجتماعية كان ملازما لنمو عملية التحضر والحداثة التى مرت بها المجتمعات فى تطورها، فمع تواتر معدلات الحداثة بدأت العلاقات الاجتماعية التقليدية والروابط القوية بين أفراد المجتمع يصبها الوهن والضعف، وهو الأمر الذى ظهر فى انقسام أفراد المجتمعات إلى فئات متمايزة فى أشياء كثيرة كان أكثرها وضوحا التمايز على أساس الموضع والموقع، أي أن الاستبعاد المكانى كان أكثر صور الاستبعاد تلازما مع عملية تحديث المجتمع .

وفى هذا الصدد" ربطت بعض الدراسات بين مفاهيم الاستبعاد والهامشية من جهة، وبين الحداثة من جهة أخرى، انطلاقا من تأثير الثورة الصناعية فى القرن التاسع عشر على المجتمعات الغربية ؛حيث قُوضت أنماط الحياة الراسخة مثل:الجماعة والريف والعائلة الممتدة، وخُلقت بنى جديدة مثل المدن الكبيرة،وما يرتبط بها من ظهور لنمط العلاقات ذات الطابع الرسمى"(٨). كما أنه مع تزايد عمليات التحضر" شهدت المجتمعات تداعيات كثيرة يمكن اعتبارها مظاهرَ للاستبعاد الاجتماعى ،لعل أبرزها نمو قطاع الاقتصاد غير الرسمي وتضخم المناطق العشوائية،وما ينطوي عليه ذلك من تفاوت فرص الحياة سواء تلك المرتبطة بتفاوت الدخول من

ناحية، أو مظاهر التدهور العمراني والبيئي من ناحية أخرى، إضافة لوجود تفاوت بين الجماعات والأفراد فيما يخص وجود مناطق راقية تجاورها مناطق متدهورة عمرانيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا. ولا شك أن هذا التفاوت في الفرص يخلق أنماطا أخرى من التفاوت الاجتماعي في مجالات الصحة والتعليم، وكل الأبعاد المرتبطة بتوفير الحياة الكريمة للإنسان في بيئة مكانية ملائمة"(٩).

هكذا كان الاستبعاد المكانى ظاهرة ملازمة للحداثة،وهو ما جعل"المجتمعات المعاصرة لا تكاد تخلو من وجود شكلين من أشكال الاستبعاد: الأول هو استبعاد أولئك القابعين في القاع والمعزولين عن التيار الرئيس للفرص التي يتيحها المجتمع. أما الشكل الآخر فهو الاستبعاد الإرادي، أو ما أسماه جيدنز (ثورة جماعات الصفوة)، حيث تنسحب الجماعات الثرية من النظم العامة، وأحياناً من القسط الأكبر من ممارسات الحياة اليومية، خاصة مع ازدياد تسارع وتيرة العولمة التي تمخضت عنها هوة داخل جسم المجتمع"(١٠)" .

وقد ارتبط كل من هذين الشكلين السابقين من الاستبعاد، سواء الاستبعاد القسرى أم الإرادى بأماكن معينة تمثل بيئة المستبعدين المكانية ،التى تتناسب مع الفرص التى تخص كل فريق من الفريقين؛ فكما للمستبعدين من الفقراء والمهمشين فى المجتمع أماكنهم التى تعبر عنهم ،وتفصح عن فرصهم الضئيلة فى التمتع بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتضم فى معظمها الأحياء الشعبية الفقيرة والعشوائيات،يوجد للمستبعدين الأغنياء من صفوة المجتمع أيضا أماكنهم التى تعبرعن فرصهم الكبيرة وحظوظهم الوفيرة فى التمتع بكافة الحقوق ،وتتمثل هذه الأماكن فى ما عرف مؤخرا باسم المدن المُسيّجة.وكلا النمطين من الأماكن يمكن النظر إليه باعتباره مجتمعا مكانيا مغلقا على من يوجدون فيه من المستبعدين ، حيث يتضمن كل منهما خصائص وسمات وخطابا للاستبعاد مغايرا للآخر .

ومما يلاحظ فى الآونة الأخيرة ازدياد ظاهرة الاستبعاد المكانى فى المجتمع المصرى بصورة كبيرة في ظل التغيرات المتواترة والمتسارعة التي شهدها المجتمع ، وهو ما أثار اهتمام بعض الباحثين، وكذاالأدباء والفنانون الذين حاولوا الاقتراب من عالم الفئات المستبعدة فى المجتمع وتصوير عوامل هذا الاستبعاد ونتائجه فى الأعمال الأدبية والفنية المختلفة.

وتعد الرواية من بين الأنواع الأدبية الأكثر اهتماما بطرح هذه الظاهرة؛ نظرا لكونها الفن الأكثر عمقا واتساعا وقدرة على تناول التغيرات المختلفة والتحولات التى يمر بها المجتمع ، إضافة لقدرتها على نقد الواقع الاجتماعى بكافة جوانبه ؛حيث" تعكس حاضر الواقع وليس الحلم المجرد ليمكن من ثم الوصول إلى شكل من أشكال الوعى الممكن"(١١). وهذا ما دفع الباحثة لمعاينة موضوع دراستها من خلال أحد النصوص الروائية التى اقتربت من هذه القضية بجدية وبصورة يمكن من خلالها الوصول لعدد من الاستبصارات الاجتماعية حول علاقة المكان بخطاب الاستبعاد الاجتماعى فى المجتمع .

وفقا لما تقدم، تتحدد مشكلة الدراسة فى السؤال التالى:كيف استطاعت الرواية المصرية أن تصور أبعاد العلاقة بين المكان وخطاب الاستبعاد الاجتماعى فى المجتمع؟

ثانيا : أهمية الدراسة :

١-وتنبع الأهمية النظرية للدراسة من خلال جدة الموضوع الذى تتناوله:فبالرغم من وجود بعض من الدراسات التى تناولت ظاهرة الاستبعاد الاجتماعى فى مجال علم الاجتماع من زوايا مختلفة كمجال للدراسة والتحليل،إلا أن موضوع دراسة العلاقة بين المكان وخطاب الاستبعادالاجتماعى من جهة،ورصد هذه العلاقة في أحد الحقول المعرفية ممثلا في الأدب الروائى المصري من جهة أخرى يعد من الموضوعات الحديثة نسبيا التى تتسم بقلة – إن لم يكن ندرة– الدراسات المتعلقة بها، وبخاصة أن الدراسة الراهنة تحاول الاستفادة من الاتجاه التأويلى وتحليل النص كأحد الطرق البحثية المستخدمة فى علم اجتماع الأدب فى تناولها لهذا الموضوع.

٢-أما الأهمية التطبيقية للدراسة الراهنة فتكمن فى التعرف على الدور الذى يقوم به الأدب –وبخاصة الرواية – فى خلق وعى مجتمعى بالقضايا والظواهر الاجتماعية، وتقديم رؤية فنية فيما يخص معرفة الواقع الاجتماعى والوعى به من خلال رصده لظاهرة الاستبعاد الاجتماعى القائم على أسس مكانية بالدرجة الأولى، كما تتضح هذه الأهمية أيضا فى محاولة لفت الانتباه لمدى خطورة ظاهرة الاستبعاد الاجتماعى المكانى، وما يرتبط بذلك من ضرورة إثارة الوعى فيما يخص الآثار السلبية المترتبة على تنامى هذه الظاهرة فى تحقيق الاندماج الاجتماعى والمواطنة النشطة .

ثالثا: أهداف الدراسة وتساؤلاتها :

حددت الدراسة هدفها الرئيس فى محاولة دراسة العلاقة بين المكان وخطاب الاستبعاد الاجتماعى كما تتناوله إحدى الروايات المصرية، وهى رواية "يوتوبيا" للكاتب "أحمد خالد توفيق" بغية الوقوف على أبعاد هذه العلاقة. وسعيا لتحقيق هذا الهدف جاءت تساؤلات الدراسة كالتالى :

١-ما خصائص وعوامل إنتاج المكان الاجتماعى فى النص الروائى" يوتيوبيا "؟

٢- كيف يسهم المكان فى إنتاج أنماط الاستبعاد الاجتماعى ومظاهره داخل النص الروائى ؟

٣- ما السلطة التى يمارسها المكان فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين داخل النص الروائى؟

رابعا: مفاهيم الدراسة :

١-مفهوم المكان:

" ورد مفهوم المكان فى العديد من المعاجم اللغوية من بينهم لسان العرب "لابن منظور"؛ حيث يعنى الموضع الثابت المحسوس القابل للإدراك، والذى يتنوع من حيث الشكل والمساحة والحجم "([١٢]). فالمكان هو" موضع لكينونة الشيء فيه، وموضع الشيء أى المحل الذى يحل فيه ويتموضع ، والفضاء الذى يحيط به، ويحدد موقعه بالقياس إلى شيء آخر. والمكان بوصفه رقعة جغرافية إنما يعنى الاتساع والامتداد للمحل والفضاء الذى يحيط به بما يحمله من علامات جغرافية مرتبطة بتشكيل هوية المكان"([١٣]) .

ومن الملاحظ أنه لا توجد هناك فروق واضحة بشكل كبير فى أدبيات علم الاجتماع الكلاسيكية أو المعاصرة حول مفهومى: المكان والفضاء؛حيث تتداخل الحدود التحليلية بين المكان والفضاء.فعلى سبيل المثال،يصنف"بورديو" الفضاء على أنه فضاء فيزيقي واجتماعي. وهو يشير إلى الفضاءالفيزيقى باعتباره مساحة اجتماعية موحَّدة،أما "جيرين" فيؤكد أن المكان له موقع جغرافي وشكل مادي ومعنى وقيمة محددة، أما الفضاء

فقد حدده على أنه مجموعة من"الأشكال الهندسية المجردة المنفصلة عن الشكل المادي والتفسير الثقافي" (١٤). فى حين لم تفصل" جوليا كريستيفا" الفضاء الجغرافى عن دلالالته التى تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور وبثقافة معينة. أى أنها تدخل المدلول الثقافى ضمن تصور المكان"(١٥) .

وفي العقود القليلة الماضية، أصبح من المعتاد في الجغرافيا الأنجلوأمريكية والفرانكوفونية الإشارة إلى الفضاء والمكان كمنتجات اجتماعية. لقد ظهر هذا،على الأقل منذ مطلع الألفية، في علم الاجتماع والعديد من التخصصات ذات الصلة أيضًا. فقد قام كل من Henri Lefevre و Manuel Castells و David Harvey و Doreen Massey و Claude Raffestin والعديد من الأشخاص الآخرين بتقديم أعمال رائدة في هذا المجال(١٦).

وفى هذا الصدد نجد "هنرى لوفيفر" "Henri Lefevre :في اقترابه من مفهوم المكان يرى أن الفضاء ليس معطى قبلى كما أراده "كانط" ولا شكل رياضى خالص يلغى الزمن المعاش والتاريخى معا.وبهذا المعنى فالمجتمع الإنسانى هو الذات التي تنتج الفضاء(١٧). " فالفضاء كمايرى" لوفيفر"فى الواقع منتج اجتماعى ناتج عن فعل متناقض؛ حيث يتم إنتاجه من خلال البناءات الاجتماعية المهيمنة .هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتم إنتاجه من قبل الجماعات الاجتماعية الأقل إرادة التى تعيش فى الفضاء. فالفضاء الاجتماعى يتشكل كمساحة للتعايش والتزامن فى العلاقات الإنسانية . (١٨). وبهذا المعنى لا يبحث "لوفيفر" عن أنطولوجيا للفضاء أو المكان ، ولكنه ابتكر آداة مفاهيمية لاستكشاف الممارسات المكانية . وبالتالى فهو ينظر للمكان باعتباره فضاء اجتماعى. أى الفضاء كما تشكله العلاقات الاجتماعية (١٩).

وفى تناوله لمفهوم المكان أسس" أنتونى جيدنز" "نظريته عن البنينة على تصنيفات الزمان والمكان ...وفى رأيه أنه يجب تصور المكان والزمان كأبعاد مركزية فى النظرية الاجتماعية فهما يقعان فى القلب منها"(٢٠). وهو يرى أن التفاعل الاجتماعى في جميع الأحوال يتخذ وضعه وموقعه في سياق الزمان والمكان . ويمكننا تحليل الطريقة التي تنقسم فيها الحياة اليومية إلى أطوار مترابطة من جهة الزمان والمكان عندما ندرس الأشكال التي تجرى فيها مختلف الأنشطة في فترات محددة تتضمن في الوقت نفسه التحرك والانتقال من مكان إلى آخر " (٢١) .

من خلال ما تم عرضه من تعريفات،يمكن تقديم تعريف إجرائي لمفهوم المكان بوصفه :حيز فيزيقى له خصائص مادية تحدد هويته الجغرافية والمعمارية،كما أن له أبعادا اجتماعية وثقافية ترتبط به ،تؤثر فى تشكيل ثقافة وأنماط تفاعل سكانه ، وتطبعهم بطابع معين، ويتم على أساسه استبعاد فئات معينة فى المجتمع .

٢-مفهوم الاستبعاد الاجتماعى: ورغم الغموض الذى يحيط بتعريف هذا المفهوم،إلاأنه متعدد الأبعاد والدلالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .وتتمثل السمة الأساسية له فى التحول من المسئولية الفردية إلى المجتمع ومؤسساته(٢٢)، وهو ظاهرة اجتماعية معقدة لا يمكن دراستها بمعزل عن البناء الاجتماعى أو مجمل السياق التاريخى، والذى يعبر عن عدم المساواة الناجمة عن الفرقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد،وذلك من خلال الحرمان من التمتع بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والصحية(٢٣).

وقد حدد الاتحاد الأوروبى عدة مسميات للاستبعاد الاجتماعى هى:التهميش والفقر والاستبعاد السياسى ، والاستبعاد القانونى ،والاستبعاد تحت الحد الأدنى من الحياة للحياة، والاستبعاد الثقافى بما فيه العرق والجنس،والحرمان الاقتصادى والسياسى والاجتماعى،وهذا يدل على الجوانب والوجوه المتعددة لمفهوم الاستبعاد([٢٤]).

ويمكن تقصى أثر هذا المفهوم بالرجوع إلى "ماكس فيبر" الذى عرف الاستبعاد بوصفه "أحد أشكال الانغلاق الاجتماعى، فقد كان يرى أن الانغلاق الاستبعادى بمنزلة المحاولة التى تقوم بها جماعة لتؤمن لنفسها مركزا متميزا على حساب جماعة أخرى من خلال عملية إخضاعها "([٢٥]).

ويشير الاستبعاد فى أحد معانيه إلى"ضعف التماسك الاجتماعى الذى يحدث من خلال الطرق التى تنظم وتقيد بها المؤسسات عملية الحصول على المنتجات والخدمات والأنشطة والمصادر التى ترتبط بشكل عام بحقوق المواطنة . ويتم تعريف الاستبعاد فى ضوء الإشارة الى كون المجتمع مرتب بطريقة تراتيبية من مجموعات مختلفة تتحكم فى الحصول على السلع والخدمات وتحمى المصادر من الغرباء.وفى هذا السياق فإن الاستبعاد الاجتماعى يعد نتيجة لعمليات الانغلاق الاجتماعى التى عن طريقها تحمى الجماعات الأكثر تميزا فى المجتمع الأوضاع التى تحتكرها " ([٢٦]).

ومن المنظور الليبرالي الحديث، يعد الاستبعاد الاجتماعي أحد الآثار الجانبية المؤسفة ولكن الحتمية لإعادة تنظيم الاقتصاد العالمي. بعبارة أخرى فإن الاستبعاد الاجتماعي هو النتيجة الضرورية لإعادة تنظيم الإنتاج العالمي،والحقيقة المصاحبة لذلك أن العمال الذين كانوا محميين سابقًا بالحواجز التجارية على المستوى الوطني ،والضمان الاجتماعي وظروف العمل الرسمية على المستوى الشخصي، أصبحوا مستثنين من هذه الفوائد. ([٢٧])

ويعد الاستبعاد "مجموعة من العمليات المتضمنة في داخل سوق العمالة ونظام الرفاهية، التي يُدفع من خلالها الأفراد والأسر والمجتمعات، وحتى فئات اجتماعية بكاملها، نحو هامش المجتمع أو أُبقيت فيه. وهو لا يشمل فقط الحرمان المادي، لكن أيضًا بشكل أوسع يشمل الحرمان من فرصة المشاركة بالكامل في الحياة الاجتماعية والمدنية"([٢٨]).

وترى "جوينت لامبرت" ، الاستبعاد الاجتماعي على أنه يشير إلى العمليات التي يتم بها طرد الأشخاص من الأماكن التي كانوا يشغلونها سابقًا، أو يُحرمون من حقوق الوصول إليها في المقام الأول. وهذا المنظور يشير إلى استخدام إطار الاستبعاد الاجتماعي لتحليل العمليات الدولية والعلاقات المؤسسية المرتبطة بالتغير الاجتماعي والاقتصادي السريع العالمي والتأثيرات المحلية والاستجابات المترتبة على ذلك([٢٩]) .

ويرى"على جلبى" أن الاستبعاد الاجتماعى يمكن فهمه على أنه استبعاد مستمر وتدريجى من المشاركة الكاملة فى الموارد الاجتماعية الرمزية والمادية ،والتى يتم إنتاجها وتوفيرها واستغلالها فى المجتمع من أجل صنع الحياة وتنظيمها والإسهام فى تنمية المستقبل الأفضل على نحو مأمول."([٣٠])

ويمكن تعريف الاستبعاد الاجتماعى إجرائيا بوصفه :العملية التى يتم بمقتضاها إقصاء بعض الفئات من الاندماج الكامل فى المجتمع نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى يشهدها هذا المجتمع ، ويتم ذلك من خلال عدة ممارسات يتحدد فى ضوئها نمط المستبعدين ؛ فإذا تمت هذه الممارسات بفعل المستبعدين أنفسهم كان استبعادا إراديا.وإذا تمت بصورة قسرية يحرم فيها هؤلاء من بعض الفرص والحقوق الاجتماعية كان استبعادا جبريا . وهذه الممارسات تشكل ما يمكن تسميته خطاب الاستبعاد .

خامسا: الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة:ويمكن تقسيم الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة وفقا للمتغيرات المتضمنة فيها كالتالى :

١-دراسات تناولت المكان: وهذه الدراسات تنقسم بدورها إلى دراسات عنيت بالمكان فى نطاق علم الاجتماع ، وأخرى فى مجال الدراسات الأدبية :

فمن الدراسات التى تناولت المكان فى نطاق علم الاجتماع : نجد دراسة عبدالمعبود محمد عبدالرسول :إشكالية الهوية المكانية لسكان المناطق العشوائية.دراسة حالة لمنطقة الكيلو ٢بمدينة الاسماعيلية(٢٠١٥)([٣١])وهى دراسة حاول الباحث فيها تقديم دراسة حالة متعمقة لسكان المناطق العشوائية بالتطبيق على منطقة الكيلو ٢ بمدينه الإسماعيلية،وتحليل الهوية المكانية لسكان هذه المنطقة، ورصد ملامح الاستبعاد الاجتماعى لها ولسكانها، واستخدام أسلوب البحث الكيفى من خلال تطبيق المقابلات المتعمقة وجماعات المناقشة المركزة على عينة ضمت ثلاثين حالة من أرباب الأسر بمنطقة الدراسة،إضافة للزيارات الميدانية الاستطلاعية والتتبعية.وقد توصلت الدراسة إلى أن المنطقة ككل والمبحوثين فيها تتأزم حياتهم وهوياتهم المكانية لحد كبير جدا مما ينعكس على تهديد حياتهم الاجتماعية وطموحاتهم الفردية والأسرية والمجتمعية ،كما توصلت الدراسة إلى وجود وصمة اجتماعية للمكان وساكنيه تطاردهم فى كل شئون ومجالات الحياه سواء فى التعليم أو العمل أو الزواج وعند الرغبة فى التواصل الاجتماعى،كما يعد العنف أحد سمات هذه المنطقة المرتبطة بثقافة المكان وخصائصه.

وفى مجال أنثروبولوجيا الأدب توصلت دراسة كنان حسين المعنونة:أنثروبولوجيا المكان وتغريب الهُويّة.قراءة في روايات عربية وعالمية عن العنصرية(٢٠٢٠)([٣٢])إلى عدة نتائج تتعلق بالكيفية التى تناوت بها نماذج من الرواية العربية والعالمية قضايا العنصرية وتغريب الهوية على أسس مكانية؛فرواية "زرايب العبيد" للكاتبة الليبية نجوى بن شتوان تسهم تمثيلات المكان فيها في رسم الهوية السردية من خلال الاشتغال على الإطار الأنثربولوجي، فتجلو لنا ملامح الآخر الأسود في علاقته بالمكان،أما رواية"لأني أسود" للكاتبة الكويتية سعداء الدعاس فترصد الدلالة الأنثربولوجية للمكان بدءاً من مركز انطلاق أحداث الرواية في ولاية شيكاغو الأميركية، بوصفها أنموذجاً عن عنصرية الولايات المتحدة الأميركية تجاه السود.وفي رواية "أكثر العيون زرقة" للكاتبة الأميركية توني موريسون تكشف سردية التمايز المكاني الطبقي قسوة عيش السود في فضاء اجتماعي موحش، مكرسةً مفارقات التموضع المجتمعي؛ وبذلك يبدو أثر أنثروبولوجيا المكان وجغرافيته السوداء في تعقيد أزمة السود، فالعلاقة بينهما مركبة وعضوية وجوهرية ؛علاقة تأثير متبادل تنعكس بوضوح على طبيعة العلاقات

الاجتماعية؛ إذ تكبر هوّة التباعد الثقافي والمعيشي بين البيض والسود، فتتكرّس النظرة الدونية تجاه السود، لتصل إلى حد تقبل سياسة التخلّص منهم وإبادتهم.

أما فى مجال الدراسات الأدبية: فقد حظى المكان بحظ وافر من الدراسات ، وبخاصة فى مجال الرواية؛ فعلى سبيل المثال بحث "قصي جاسم أحمد الجبوري " فى دراسته:" المكان في روايات تحسين كرمياني(٢٠١٦) ([٣٣]). مفهوم المكان وأبعاده،وعلاقته بعناصر السرد في الرواية، وبيان آلياته وأنماطه وذلك باستخدام المنهج الوصفي والتحليل البنيوي والنفسي. وخلصت الدراسة إلى أن الكاتب أجاد في رسم المكان في رواياته، واختار أمكنة لرواياته وهو يرسمها من خلال تجاربه وملاحظاته ومشاهداته،وقدصاغها فنياُ لتتلاءم مع أحداث الراويات، وشخصياتها،وفعلها،وحركتها،وهمومها، وعاداتها، وتقاليدها، وقيمها، ورؤيتها، وكان لبيئة الكاتب أثر واضح في تشكيل المكان ورسم أبعاده وأنماطه وآلياته، فتحول المكان في نصوصه الروائية إلى رمز مشع بدلالات جديدة ومثيرة للفعل البشري والحياة برمتها.

ومن الدراسات التى تؤكد على دور المكان فى تشكيل تجربة البشر دراسة أمينة بوشلالق:المثاقفة والسيرة الذاتية فى "خارج المكان" لإدوارد سعيد (٢٠١٦)([٣٤]) وهى دراسة تحاول الإجابة على التساؤلات التالية: هل تتشكلّ هويّة الأنا في الخطاب العربي عبر لقاء الآخر أم عبر مواجهته؟أم عبر الإثنين معا؟ وهل يمكن الانفتاح على الآخر والحفاظ على الهويّة في الوقت نفسه ؟وهل يهددنا الانفتاح أم يثري هويّتنا ويغنيها؟ وقد استخدمت المنهج الوصفي التحليلي ،وتمثلت عينة الدراسة فى كتاب "خارج المكان" لإدوارد سعيد.وتوصلت الدراسة إلى إن التحولات الكبرى والجذرية التي تعيشها الإنسانية ولّدت لدى الإنسان شعورا بالإضطراب والتمزّق والخوف من فقدان الهويّة، فالهويّة ليست فعلا نهائيا، إنّها حضور حيّ متجدد مفتوح على التعدد والاختلاف ومتفاعل مع الزمان والمكان. بين وحدة المتعدد، وتعدّد ما هو موّحد. داخل زمن الهويّات القاتلة وانفجارها وتجنّب السقوط في فخّ الخيار بين هويّة ثابتة منغلقة، وأخرى مشتتة ومركبة من عناصر تبتعد وتقترب بحكم الاحتكاك والتبادل الثقافي.

أما دراسة حنان أمزيان و سمية بركات: جماليات تشكيل المكان في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي– أنموذجا–(٢٠١٧) ([٣٥]) فحاولت التعرف على الدور الذى يقوم به المكان فى الرواية وعلاقته بمختلف العناصر الروائية الأخرى و التشكيلات المكانية الواردة فى هذه الرواية. واعتمدت الدراسة على المنهج البنيوى القائم على استراتيجية التحليل والتأويل بغية الكشف عن الأماكن الواردة فى الرواية، إضافة لاعتمادها على المنهج الوصفى.وتوصلت الدراسة إلى أن المكان ساهم فى رسم أبعاد الشخصيات وعكس حقيقتها وساهم فى تفسير سلوكياتها وشرح طبائعها، كما كانت معظم الأماكن التى وظفها الكاتب عبارة عن رموز تدل على قضايا اجتماعية ، وتظهر الأبعاد الطبقية فى المجتمع ؛فالأماكن تعكس وجود فئات اجتماعية مختلفة ، كما عبر المكان عن القيم المتعارضة وما يرتبط بذلك من دلالات رمزية .

وجاءت دراسة إيمان جريدان :هوية المكان وتحولاته (قراءة فى رواية طوق الحمام) (٢٠٢٠)([٣٦]) للكاتبة "رجاء العالم" بهدف التعرف على مكونات هوية المدينة المقدسة مكة المكرمة كمكان وتحولاتها فى ظل ما

تعيشه من مشاريع بناء وتعمير كبرى ،ومدى انعكاس هذا التعمير على رموز وعناصر هويتها التى باتت معرضة للاستلاب والتشويه، وتساءلت الدراسة عن أهم المعالم والرموز والسمات الجوهرية المُشكِّلة لهوية مكة المكرمة ،ومسار التحولات التى عرفتها .وتمثلت عينة الدراسة فى" رواية طوق الحمامة"، ومن خلال المنهج التأويلى توصلت لعدد من النتائج منها: أن الرواية حاولت توثيق سيرة مكة المكرمة كمكان باسترجاع صور من ماضيه وقراءة حاضره وتأويل مستقبله ،كما أثبتت أن العمل الفنى لا يقتصر على تصوير الواقع بعدسة محرفة لمعالمه ، ولكنه عمل تنويرى وتوعوى ،وأن العولمة قد اخترقت الحدود الجغرافية ومسخت الأماكن، وأدخلت البشر فى متاهات التمزق والتشظى والتيه ، كما صورت الرواية استلاب الأماكن والسطوة عليها من البشر الذين يعملون على مسخها وطمس هوياتها .

٢- دراسات تناولت المكان فى علاقته بالاستبعاد الاجتماعى : وتأتى دراسة:جو بيل (Jo Beall):العولمة والاستبعادالاجتماعي في المدن:تأطير النقاش مع دروس من أفريقيا وآسيا(٢٠٠٢):([٣٧]) التى حاولت البحث في الأدوار المتناقضة المطلوبة من حكومات المدن في سعيها للحفاظ على قدرة مدنها على المنافسة في اقتصاد عالمي يتسم بالعولمة بشكل متزايد مع تحمل مسؤوليات متزايدة لمعالجة المشاكل الاجتماعية، وجعل التنمية الاقتصادية المحلية أقل استبعادًا.واتخذت الدراسة من بعض المدن فى أسيا مثل مدينتى:"الكناس" و "فيصل أباد" فى باكستان ومدينة "جوهانسبرج."فى إفريقيا نماذجَ لدراسة تأثير العولمة عليها ،وعلى سبل العيش فيها ، وتوصلت الدراسة إلى أن المستبعدين اجتماعياً الجدد هم أولئك الذين لا داعي لهم لمتطلبات الاقتصاد العالمي . كما أن العمليات الإقصائية المرتبطة بالعولمة (بما في ذلك التغييرات في التقسيم الدولي للعمل) تطعم نفسها بالديناميات المحلية للاستبعاد الاجتماعي. ويتم أيضًا تقليل نطاق العمل الحكومي على المستوى الوطني ومستوى المدينة من خلال تقليص حجم الحكومات،والتحرير والخصخصة وإلغاء الضوابط . كما أوضحت الدراسة أن عمليات الاستبعاد الجديدة ارتبطت بالاتجاهات والضغوط العالمية التي تقوم بدور مهم على المستوى المحلي.

أما دراسة: روث لبتون وآن باور: الاستبعاد الاجتماعى والأحياء السكنية (٢٠٠٧)([٣٨])، فحاولت التأكيد على أن طبيعة الأحياء السكنية تسهم بالفعل فى الاستبعاد الاجتماعى لساكنيها؛ فموقع الحى والبنية التحتية للنقل والإسكان والمقومات الاقتصادية من الخصائص الجوهرية التى تؤثر على السكان مباشرة فى تقليل الفرص وزيادة التحديات .وفى هذا الصدد قامت هذه الدراسة بتتبع اثني عشر حيا من أفقر الأحياء السكنية فى إنجلترا وويلز بهدف فهم العمليات الدينامية للاستبعاد الاجتماعى على مستوى الحى السكنى ،واستكشاف ما آل إليه حال تلك الأحياء عبر الزمن مقارنة بالأحياء والمناطق من حولها، وكيف تعمل الاتجاهات السياسية والاقتصادية الحكومية للإسكان على تفاقم الفروق الجوهرية بين الأحياء،وذلك باستخدام المقابلات التى ضمت ثلاثين مبحوثا من كل منطقة من هذه المناطق من السكان ومستشارى التشغيل ومسئولى التدريب والإخصائيين الاجتماعيين المحليين فى تلك المناطق المحرومة. وتوصلت الدراسة إلى وجود معايير خاصة بالحى تختلف عن معايير المجتمع الكبير، ويمارس الرفاق فيها ضغوطا قوية بعضهم على بعض، كما أكدت وجود الاتجاهات السلبية نحو العمل وانخفاض مستوى الدافعية،وفى الوقت الذى تتضاءل فيه أفاق العمل فى القطاع الرسمى يوجد عدد من البدائل

تتفاوت فى درجة الانتشار منها :الأعمال الخدمية المؤقتة والتجارة فى السلع المهربة أو المحظورة قانونا، والاتجار فى السيارات وغيرها من السلع المسروقة والاتجار فى المخدرات ، كما أن الأحياء الأشد فقرا أقل استجابة من غيرها للإصلاح الاقتصادى ، كما ترتبط عملية تآكل رأس المال الاجتماعى الموجودة فى هذه المناطق بعملية تآكل رأس المال البشرى فالسكان من خلال افتقادهم الإحساس بالقدرة على التحكم فى البيئة التى يعيشون فيها وتحقيق الأمان فى يومهم وافتقاد الثقة فى الآخرين،غالبا ما يفتقدون الثقة فى قدرتهم على التحكم فى جوانب حياتهم الأخرى، وهو ما ينمى لديهم إحساسا بالعجز والاغتراب والتهميش وبخاصة الاقتصادى .

وهكذا، ومن خلال ما تقدم من عرض لبعض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة الراهنة يمكن القول:إنالدراستين اللتين تناولتا المكان فى نطاق علم الاجتماع والأنثروبولوجيا (دراستا : عبدالمعبود محمد عبدالرسول وكنان حسين)على التوالى حاولتا الربط بين المكان وتشكيل الهوية وظهور أزمة فى هذه الهوية المكانية للسكان نتيجة للوصمة الاجتماعية المرتبطة ببعض الأماكن، كما استطاعت كل منهما رصد الأثر الذى يحدثه المكان فى إبراز التمايز المكانى الطبقى والعنصرى.

أما الدراسات الأدبية التى اهتمت بالمكان فقد عكست نتائجها التأكيد على الدلالات الرمزية للمكان ودوره فى تشكيل خبرات وتجارب وثقافة البشر،وكذلك علاقة المكان بالهوية وتعميق التمايز الطبقى ، لكن من خلال التحليل الكيفى للنصوص الأدبية مثل دراسات: كل من(قصي جاسم أحمد الجبوري و أمينة بوشلالق و حنان أمزيان و سمية بركات وإيمان جريدان .)

أما فيما يتعلق بالدراسات التى ربطت المكان بالاستبعاد الاجتماعى ، فقد جذبت الانتباه إلى الدور الذى تقوم به العولمة بآلياتها الاقتصادية فى توسيع دائرة الاستبعاد الاجتماعى فى بعض المدن نتيجة الإجراءات المجحفة التى تطبق فى هذه المدن (دراسة جو بيل Jo Beall).كما كان هناك تأكيد من جانب هذه الدراسات على ما تقوم به طبيعة الأحياء السكنية فى تحقيق الاستبعاد الاجتماعى لسكانها، وما تتصف به هذه الأحياء المستبعدة من تآكل لرأس المال الاجتماعى وظهور كثير من الظواهر المرضية كالاغتراب والتهميش وفقدان الثقة فى الآخرين (دراسة روث لبتون وآن باور).

وبالرغم مما قدمته هذه الدراسات من طرح فيما يخص موضوع الدراسة من حيث اقترابها من دراسة ظاهرة الاستبعاد وأثاره السلبية فى إطار علاقته بالمكان ، أو فيما يخص دراسة المكان فى حد ذاته داخل أو خارج حدود علم الاجتماع أو في نطاق الأدب، إلا أن الدراسة الراهنة حاولت الربط بين المكان وظاهرة الاستبعاد الاجتماعى بصورة جديدة ، فحاولت رصد هذه العلاقة من خلال المجال الأدبى ممثلا فى الرواية كأحد المجالات الثقافية والمعرفية المهمة فى تشكيل الوعى الفردى والمجتمعى المتعلق بقضايا وظواهر المجتمع ؛ للتعرف على أبعاد أخرى فيما يخص دراسة هذه الظاهرة مستفيدة فى ذلك ببعض الأطر النظرية والمنهجية المتعلقة بدراسة النص الأدبى في سوسيولوجيا الأدب.وهو ما لم تتطرق إليه أى من الدرسات السابقة مما يعطى مشروعية لقيام مثل هذه الدراسة.

سادسا:التوجه النظرى للدراسة: وتستعين الدراسة الراهنة بالاتجاه التأويلى كتوجه نظري يمكن من خلاله سبر أغوار موضوع الدراسة؛حيث"يعتبر التأويل من أهم المباحث الفلسفية التى أفاد من معينها علم الاجتماع؛فمنذ نظرية "ماكس فيبر"عن الفعل الاجتماعى ومعالجته التأويلية له المنطلقة من جهود المدرسة التقليدية فى التأويل(شلايرماخر ودلتاى)حتى نظرية"هابرماس"عن التواصل العقلانى ،والعلم ما زال يفيد مما طرحته التأويلية من إشكاليات وحلول ممكنة؛فالتأويل يساعد فى تجديد الوعى النقدى من خلال إعادة النظر فى طريقة التعاطى مع قضايا المعنى وإشكالاته وأشكال تصريفه وتداوله وتلقيه"([٣٩]) . وهو محاولة" لفهم العالم وتأويله من خلال اللغة التى تحمله،فالمنهج التأويلي يبحث دائما عن الفضاءات المفتوحة التي تبحث في النصوص باعتبارها تحمل حياة متجددة هي في حاجة دائما إلى بحث وإعادة تأويل على مستوى الممارسة التأويلية كفاعلية نقدية لا تقف عند حد"([٤٠]).

وفى التأويل " لا يرجع القارئ إلى النص لمعرفة ما أراد المؤلف قوله ؛بل يلتفت إلى ما يسكت عنه القول بالذات مبينا ما يمارسه الخطاب من الحجب والاستبعاد ، كاشفا عما يتوارى خلف المقولات من البنى المعيقة أو الآليات اللامعقولة أو الممارسات المعتمة؛ فالتأويل مجال للفهم يتيح القول فى الوجود من جديد ويسمح بإعادة تعريف الأشياء"([٤١]). "والفهم هنا يتعلق بكل أنواع النصوص على اختلافها وتنوعها ،وبالتالى فهو يقوم بعملية فحص لهذه النصوص داخليا وربطها بسياقاتها العامة خارجيا.([٤٢]) وبهذا المعنى لا يعد التأويل فهم من أجل النص ، بل الفهم عبر النص للعودة إلى الذات الإنسانية ؛ فالنص ما هو إلا مرآة تقرأ الذات الإنسانية من خلاله ذاتها([٤٣]).

ويرى "أحمد زايد" أنه إذا كانت الهيرمنيوطيقا قد انشغلت باكتشاف مجاهل النصوص وغوامضها، فإن هذا الانشغال كثيرا ما ينتهى باكتشاف عالم الحياة الاجتماعية فى داخل النصوص ، وهنا تكون عملية التأويل مراوحة بالعمق بين مجتمعين:مجتمع النص والمجتمع الواقعى؛ فمجتمع النص ينقل المفسر من جمود النص إلى عالم المجتمع(تاريخه وأبنيته الاجتماعية وطبقاته وتفاعلاته الاجتماعية) ،كما أن عالم المجتمع– الذى يعيش فيه كاتب النص ومفسره – يترك بصماته لا على كتابة النصوص فحسب بل على تأويلها أيضا"([٤٤]) .

عبر ما تقدم من عرض للاتجاه التأويلى ،يمكن استخلاص بعض المقولات والقضايا التى تستعين بها الباحثة عند إجراء الجانب التحليلى للنص الروائى عينة الدراسة حتى تستطيع الوصول للأهداف التى حددتها . وتتمثل هذه المقولات والقضايا فى :

١–يقوم التأويل بالربط بين النصوص المدروسة وسياقاتها العامة التى تظهر فيها هذه النصوص ، فالتأويل لا يتم بغرض فهم النص فقط ،ولكنه مرآة تقرأ الذات الإنسانية من خلاله ذاتها.وهو ما ينطبق عند تحليل النص الروائى قيد الدراسة " يوتوبيا " ؛فليس الغرض من تأويل النص فهمه فقط ، ولكن البحث فى الكيفية التى يتشكل من خلالها الفهم الجمالى والفنى للظواهر الاجتماعية والتى تمثلها ظاهرة " الاستبعاد الاجتماعى فى ارتباطها بالمكان .

٢-تعد عملية التأويل مرواحة بين مجتمعين:مجتمع النص والمجتمع الواقعى،وهو ما يستتبع البحث فى علاقة النص بتاريخ المجتمع وبنائه الاجتماعى وطبقاته وتفاعلاته الاجتماعية.ويمكن الاستفادة من هذه المقولة عند تحليل أنماط الاستبعاد المكانى ومظاهره من خلال المرواحة بين ما يصوره النص، وما يوجد فى الواقع الفعلى عبر الاهتمام بالمسكوت عنه فى خطاب الرواية ،والكشف عما يتوارى خلف المقولات من بنى وممارسات تسهم فى إعادة فهم ظاهرة الاستبعاد الاجتماعى القائمة على أسس مكانية .

٣-يعد التأويل محاولة من أجل فهم العالم وتفسيره من خلال اللغة.ويمكن الاستفادة من هذه المقولة من خلال معرفة الكيفية التى يتم من خلالها إنتاج وتشكيل خطاب المستبعدين فى النص الروائى .

سابعا: الإجراءات المنهجية للدراسة :

١-نوع الدراسة :وتنتمى هذه الدراسة إلى الدراسات التحليلية التى تقوم على التحليل الكيفى للنص الروائى "يوتوبيا " للكاتب الروائى أحمد خالد توفيق بهدف التعرف على علاقة المكان بخطاب الاستبعاد الاجتماعى فى المجتمع المصرى كما صورته هذه الرواية .

٢-طريقة الدارسة :وقد استعانت الدراسة بطريقة تحليل النص؛ حيث لا يقتصر التحليل فقط على النصوص ودورها فى التعبير عن مقاصد الكاتب؛ وذلك أن الأدوات اللغوية قد تشرح ظاهر النص لكنها لا تفسره ؛ ولذا يجب العودة إلى سياقات النص التاريخية وإطاره الاجتماعى والثقافى،وفهم النص من خلال تفاعل كاتبه مع ظرفه التاريخى وواقعه الثقافى، وبذك يتم الانتقال بالتفسير من التعامل مع النص إلى محاولة إعادة قراءة واقع إنسانى بأكمله وفهمه ،وهو الهدف الأساس للعلوم الاجتماعية([٤٥]). وتتمثل خطوات تحليل النص الروائى يوتوبيا فى :

ا-البحث داخل النص عن الوضع السوسيولغوى الذى أنتج فى ضوئه النص بما يساعد على الكشف عن الطريقة التى يتم بها إنتاج وإعادة إنتاج المكان اجتماعيا داخل النص ،بما يسهم في فهم الوضع الذى من خلاله ربط كاتب النص بين المدن المسيجة الجديدة وظاهرة الاستبعاد الإرادى من ناحية، وارتباط الاستبعاد الجبرى أو القسرى بأماكن مغايرة لها من ناحية أخرى،" فسوسيولوجيا النص الأدبى تركز على ما إذا كان من الممكن وصف العلاقة بين النص الأدبى وسياقه الاجتماعى ،ولا يتحقق وصف كهذا إلا إذا ظهر الأدب والمجتمع فى منظور لغوى "([٤٦]).

ب-البحث عن اللهجات الاجتماعية والخطابات المختلفة داخل النص وذلك من خلال " معرفة أى اللهجات والخطابات التى ينتقدها أو يتبناها النص"([٤٧]). بمايسهم فى الكشف عن الكيفية التى يتشكل من خلالها خطاب المستبعدين داخل النص .

ج- ولا تتم هاتين الخطوتين السابقتين دون عملية تفكيك النص الروائى للبحث عن الشكل الفنى الذى صيغت من خلاله الحقيقة الاجتماعية المرتبطة بظاهرة الاستبعاد ، بما يسهم فى فهم الرابطة بين النص والسياق الذى ظهر فيه .

٣-مجتمع الدراسة: ويتمثل مجتمع الدراسة فى مجموعة الكتابات الروائية الخاصة بالروائى "أحمد خالد توفيق" ،والتى تضم خمسة روايات هى :يوتوبيا والتى صدرت أوائل عام ٢٠٠٨ عن دار ميريت للنشر، وتُرجِمَت للإنجليزية عن دار Bloomsbury، وللفرنسية عن دار Ombres Noires، وللألمانية، وللفنلندية. وأعيد نشرها بالعربية من قبل دار بلومزبري ومؤسسة قطر للنشر، ودار الشروق، ورواية "السنجة" التى صدرت عام ٢٠١٢ عن دار بلومزبري ومؤسسة قطر للنشر.

ورواية " مثل إيكاروس " التى صدرت عام ٢٠١٥ عن دار الشروق. رواية" في ممر الفئران" التى صدرت عام ٢٠١٦ عن دار الكرمة، ورواية " شآبيب" التى صدرت عام ٢٠١٨ عن دار الشروق (٤٨)، حيث تم اختيار رواية "يوتوبيا " لتكون عينة الدراسة دون غيرها من أعمال .

٤-عينة الدراسة : تتمثل عينة الدراسة فى رواية "يوتوبيا" للروائى "أحمد خالد توفيق" والتى تم اختيارها بطريقة عمدية لمعاينة موضوع الدراسة لعدة أسباب منها:أ- عكس النص الروائى ظاهرة الاستبعاد موضوع الدراسة بصورة كبيرة من خلال تركيزه على صور الاستبعاد ومظاهره المختلفة داخل أحداث الرواية .

ب- قدم النص صورة تكاد تقترب من تخوم الواقع للتناقض الطبقى الصارخ القائم على أساس الاستبعاد المكانى مما يجعله الأقرب لمعاينة موضوع الدراسة .

ج-إضافة لما سبق حقق هذا النص شهرة كبيرة ،وترجم لعدة لغات ؛نظرا لجدة وأهمية الموضوع الذى يتناوله ، وهو ما يجعله جديرا بالتحليل من وجهة النظر الاجتماعية.

ثامنا :التحليل الاجتماعى للنص الروائى " يوتوبيا " : ومن خلال تحليل النص الروائى "يوتوبيا "، أمكن التوصل للمحاور التالية :

المحور الأول: توصيف الرواية ودلالتها العامة :تدور أحداث رواية "يوتوبيا" حول فكرة أساسية مفادها التركيز على "تداعيات فكرة انتشار المجتمعات المغلقة لتقديم معادلة عمرانية مخيفة عن المجتمع المصرى عام٢٠٢٣، فيتصور الكاتب أن الانفصال والانعزال سادا منطق الحياة بين قطاعين أساسيين أصبحا بمنزلة المكونين الوحيدين للمجتمع المصرى"(٤٩). القطاع الأول يضم الطبقة المترفة فى المجتمع التى استطاعت من خلال نفوذها الاقتصادى والسياسى أن تحتل قمة الهرم الاجتماعى ،وأن تستأثر لنفسها بالكثير من المزايا،وهذه الطبقة اتخذت من مدينة "يوتوبيا" فى الساحل الشمالى مكانا للعيش والإقامة.أما القطاع الآخر فيضم الطبقة الفقيرة أو المعدمة التى أقصاها المجتمع بطريقة قصرية ،كى تحتل قاع الهرم الاجتماعى ، بالرغم من أنها تمثل الأغلبية العظمى من المجتمع .ومن خلال هذه الرؤية يحاول النص الروائى التأكيد على اختفاء الطبقة الوسطى بكل ما تحمله من قيم ومعانى تجعلها بمثابة رمانة ميزان المجتمع .وفى توصيفه لتآكل الطبقة الوسطى يذكر النص على لسان أحد أبطال الرواية "دعك بالطبع من ذوبان الطبقة الوسطى التى تلعب فى أى مجتمع دور قضبان الجرافيت فى المفاعلات الذرية .إنها تبطىء التفاعل ولولاها لانفجر المفاعل .مجتمع بلا طبقة وسطى هو مجتمع مؤهل للانفجار وهذا ما حدث بالضبط ، لكن الانفجار لم يقض على الطبقة الثرية ..لقد نسف ما تبقى من الطبقة الوسطى وتحول المجتمع إلى قطبين وشعبين"(٥٠).

فالفكرة الأساسية تدور حول التناقض الصارخ بين حياة القابعين فى القاع من المهمشين، وحياة الأغنياء المترفين، هذا التناقض تخلقه حالة الاستبعاد التى يعيشها كل فريق من الفريقين فى مكان مغاير عن الآخر .ويتم عرض هذا التناقض من خلال الصراع بين شخصيتين محوريتين فى الرواية تمثل كل منهما ثقافة وقيم المكان الذى تنتمى إليه :الشخصية الأولى يمثلها"البطل"المنتمى ليوتوبيا ،ابن الطبقة المترفة المدلل الذى يدفعه الملل والرتابة للقيام بمغامرة مع صديقته خارج أسوار مدينته يوتوبيا المسيجة لكى يقوم بنوع غريب من الرياضة التى تشتهر بها هذه المدينة ،وهى رياضة صيد البشر من الأغيار.والأغيار هم سكان حى "شبرا " الفقير الذين يتم إطلاق هذا الوصف عليهم بكونهم نوع من البشر مغاير شكلا ومضمونا لنوعية البشر الكائن فى "يوتوبيا"، ولهذا فإن قتل أحد هؤلاء الأغيار، والعودة بجزء من جسده يعد إنجازا كبيرا يتباهى به شباب يوتوبيا على بعضهم البعض فى اجتماعاتهم .أما الشخصية الأخرى فيمثلها "جابر" الشاب الفقير الذى يعيش حياة تقتل فيه كل إمكانية للحلم.يلتقى جابر ب "ببطل يوتوبيا "وصديقته ويستطيع إنقاذهما من رجال منطقة شبرا الذين شكوا فى أمرهما باعتبارهما غرباء. ويتطور الحدث الروائى فيحاول بطل" يوتوبيا" وصديقته التعرف على حياة الأغيار، ويدرك مدى بؤسهم وفقرهم ،ويظل طيلة الوقت يتعامل معهم باحتقار ؛ فهم فى نظره كائنات لا تستحق الحياة ؛لأنهم سبب ما وصلوا إليه بجهلهم وتخلفهم وتقاعسهم ، فأقصى ما يمكنهم فعله هو العمل فى خدمة أهل "يوتوبيا" .وعندما ينكشف سر زائرى يوتوبيا من بعض الأغيار يساعدهم "جابر" فى الهروب والعودة مرة أخرى لمدينتهما، ولكن "بطل يوتوبيا" لا يحفظ لجابر الجميل فيقوم بالاعتداء على أخته "صفية" ،وقتله فى نهاية الأمر ،والحصول على ذراعه كتذكار يتفاخر به أمام شباب يوتوبيا .وتتصاعد الأحداث وتنتهى الرواية بثورة الأغيار من سكان حى " شبرا" ،واقترابهم من أسوار مدينة يوتوبيا ذات القلاع المنيعة انتقاما من كل الممارسات الظالمة التى كانت سببا فى استبعادهم مكانيا واجتماعيا .

وفيما يتعلق بالإطار الزمنى للرواية فيمكن القول:إنه بالرغم من كون الرواية تعد نوعا من أدب استشراف المستقبل،إلا أن الزمن بأبعاده الثلاثة حاضر بها:الماضى والحاضر والمستقبل؛ فهى وإن كانت تدور أحداثها فى العام ٢٠٢٣(المستقبل)، إلا أن أحداثها تتضمن استرجاع فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين(الماضى)، فى حين يتمثل (الحاضر)الذى تتناوله فى بداية الألفية الراهنة وحتى الفترة التى كتبت فيهاالرواية؛ حيث تم نشرها عام ٢٠٠٨.ومن خلال تناول هذه الفترات الزمنية يتم استرجاع مجمل السياسات والأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى ساهمت فى تشكيل ظواهر التهميش والاستبعاد على أساس المكان فى إطار الحديث عن تحولات المجتمع ككل ، ولهذا فالزمن حاضر بأبعاده الثلاثة داخل الرواية : الماضى والحاضر والمستقبل .

أما الإطار المكانى فى النص فيمكن اعتباره البطل الأساس؛فعن طريق المكان تتحدد مصائر الشخصيات فى النص الروائى" يوتوبيا"؛ فالمكان بخصائصه الجغرافية ،وما يرتبط بها من ملامح اجتماعية يقوم بدور مهم فى تشكيل شخصيات الأبطال، وقيمهم ونوعية الحياة التى يعيشونها.وهنا ومن جديد يبدو التناقض

صارخا بين المكان "يوتوبيا"، المدينة التى تحمل اسمها الرواية، والتى تعد المكان المثالى أو المدينة الفاضلة، وبين منطقة "شبرا" العشوائية (المكان المغاير) الذى يدفع بأهله لكل أنواع الحياة المُهينة .

المحور الثانى: خصائص وعوامل إنتاج المكان الاجتماعى " فى النص الروائى" :

"إن المكان الاجتماعى منتج اجتماعى يتعرف المجتمع من خلاله على ملامحه دون أن يتماهى معه، وعلى مدار السنين يتشكل بوصفه سلسلة من العمليات والتمثيلات تظل فى حركة تحول مستمر رغم احتفاظها الدائم فى كل لحظة من لحظات التحول ببعض الملامح المميزة لها،مثل الملامح المدنية والتاريخية والجماعية المميزة له"([٥١]) . وغنى عن البيان أن للمكان ذاتيته، وكما أن للأشخاص ذواتهم المنفصلة عن الآخرين، والتي يدافعون عنها إزاء تغوّل ذوات الآخرين في مساحات وجودهم، فإن للمكان ذاتيته التي تتسق مع ذوات شخوص الرواية حال تفاعلهم مع المكان؛فالمكان يُضفي عليهم من وجوده ويأخذ كذلك من وجودهم .وهذا الأخذ والعطاء المتبادل هو الذي يلوّن سؤال الهوية الإنسانية([٥٢]).

ومن خلال تحليل النص الروائى عينة الدراسة الراهنة ، يتبين وجود مكانين رئيسين يمثل كل منهما بالنسبة للآخر مكانا مغايرا:المكان الأول وهو الذى تحمله الرواية اسما لها وهو مدينة يوتوبيا،التى تعد المعادل الموضوعى لمفهوم المدن المسيجة الذى انتشر بصورة كبيرة فى المجتمع المصرى فى الفترة من أواخر التسعينيات من القرن العشرين وحتى الآن، وفى المقابل يوجد المكان المغاير لها منطقة شبرا،التى تعد المعادل الموضوعى لمفهوم المناطق العشوائية الفقيرة ، بما تتضمنه من قيم وسلوكيات مناقضة لمجتمع يوتوبيا. وفيما يلى أحاول الاقتراب من يوتوبيا (المكان) فى مقابل شبرا أو المنطقة العشوائية التى تمثل (المكان المغاير) حتى يمكن التعرف على خصائص وعوامل تشكل وإنتاج المكان الاجتماعى كما تعرضها الرواية .

١- الملامح والسمات الفيزيقية للمكان الأول "يوتوبيا ": وبداية لابد من التوقف عند دلالة الاسم " يوتوبيا " والذى يحمل مفارقة بين الدلالات النظرية التى جاء بها الفلاسفة والمفكرون الذين اهتموا بصياغة مفهوم المدينة الفاضلة أمثال أفلاطون والفارابى وتوماس مور، وبين التصور الذى صاغه المؤلف عن مدينة "يوتوبيا" ؛ فإذا كان اليوتوبيون الاجتماعيون يعتقدون" بأن الإنسان سيكون في المستقبل أكثر سعادة ، وأوفر إنتاجا وأشد تدينا أو أحسن إيمانا وفق بعض المعايير الأخلاقية ،وأكثر تنظيما وأوفر رضىً وأشد إلهاما بالجمال، وخاصة إذا نظمت البيئة المادية على نحو ملائم"([٥٣]). فإن المؤلف يجعل من مدينة "يوتوبيا "مكانا تختفى فيه كل القيم النبيلة ولا تظهر فيه سوى القيم المادية القائمة عل الملذات الحسية، ونهم ثقافة الاستهلاك. وفى ذلك يذكر النص فى وصفه هذا المجتمع "يوتوبيا المستعمرة المنعزلة التى كونها الأثرياء على الساحل الشمالى ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج والتى صارت تحوى كل شىء يريدونه "([٥٤]).

هذا فيما يخص دلالة الاسم "يوتوبيا " ولكن كيف طرح النص الروائى الخصائص والسمات الفيزيقية للمكان الجغرافى يوتوبيا بما يسمح بإعادة إنتاجه اجتماعيا مرة أخرى داخل النص ؟

ويأتى وصف المكان فى الرواية هنا ليضع تصورا لشكل الحياة والعلاقات التى يمكن أن تنشأ فى مثل هذا المكان الذى يتم إنتاجه وصنعه وفق متطلبات محددة تحقق غرض الاستبعاد الذى أقيمت من أجله مثل هذه

الأماكن المعزولة، وهنا نلاحظ الأثر الذى تحدثه البنية الاجتماعية فى إنتاج نمط وتنظيم عمرانى يتلائم وطبيعة من يسكنون هذا المكان باعتبارهم فئة أو طبقة اجتماعية منغلقة على ذاتها ،بعيدا عن بقية طبقات المجتمع الأخرى. فالمكان يوتوبيا يتم وصفه بداية بعدة عناصر عمرانية تفصله عن بقية الأماكن من حيث الدلالة الواقعية والرمزية فى ذات الوقت ،وهو ما يمكن توضيحة من خلال التقسيم العمرانى للمكان يوتوبيا كما يتناوله النص ؛ فهناك بداية :"البوابات العملاقة. السلك المكهرب..دوريات الحراسة التى تقوم بها شركة (سيفكو) التى يتكون أكثر العاملين فيها من المارينز المتقاعدين"([٥٥]). إن هذا الوصف يوحى بمدى الصرامة فى فرض القيود على دخول هذه المدينة ؛ فهى حكر فقط على الأثرياء الذين يسكنونها، فالبوابات العملاقة هنا تمثل دلالة اجتماعية و" علامة مرئية من علامات الاستبعاد، بل هى إشارة قوية لهؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم مستبعدين بالفعل عن المحيط العام الأكبر"([٥٦]). كما تؤدى الأسوار التى تقام حول المدينة وظيفة اجتماعية فهى" تقسم الفضاء الموحد إلى "داخل "و"خارج"، ولكن ما هو داخل من منظور من هم على جانب من السور يمثل "الخارج "من منظور من هم على الجانب الآخر، وهى بهذا تفصل بين فضاءيين مكانيين: فضاء المستبعدين طوعيا الذى يتخذه علية القوم وأهل الاستطاعة،وفضاء المستبعدين قسرا الذي يسكنه البؤساء ([٥٧]).

ويتابع النص وصف المكان "يوتوبيا" فيذكر:"يلى ذلك منطقة الحدائق..منطقة المدارس المخصصة....منطقة دور العبادة التى بها أكثرمن مسجد وكنيسة ومعبد يهودى .ثم منطقة المولات .."([٥٨]) وبهذا الوصف تمثل يوتوبيا –المكان– أحد أشكال العمران الجديدة التى تحاول أن تجمع كل احتياجات قاطنيها فى مكان واحد مع مراعاة تنوع هؤلاء ؛ فهى تلبى كل الرغبات والأذواق وفق منطق الرفاهية التى توفره تلك الأشكال العمرانية الحديثة . ثم يشير النص للمنطقة الخاصة بالقصور الفارهة التى يسكنها أهل يوتوبيا "ثم ترى القصور قصر علوى بك ملك الحديد ...قصر عدنان بيك ملك اللحوم .. قصر أبى ملك الدواء " وأخيرا منطقة المطار الداخلى والتى أقيمت في البداية تحسبا لقيام أية ثورة ضدهم مما يسهل عملية هروبهم خارج البلاد ،ومع مرور الوقت وضمانهم استمرار الأوضاع كما هي" ظلت كنوع من الترف ... "([٥٩])

إن هذا الوصف السابق للمدينة يوضح كيف يتوافق النمط العمرانى لها مع متطلبات العصر المعولم ، فتقسيم المدينة إلى عدة مناطق يلقى الضوء على نمط الحياة بداخله ونوعية البشر الذين يقيمون فيه ؛ فبداية توجد الأسوار والبوابات العملاقة والأسلاك المكهربة لمنع التسلل من قبل الغرباء، ثم مناطق الخدمات ممثلة فى المدارس ودور العبادة ،ثم مناطق التسوق، وأخيرا منطقة القصور ، فمن خلال سرد الملامح الجغرافية للمكان يتضح كيف يتم إنتاج المكان اجتماعيا ؛ فطبيعة هذا النمط المعمارى تلقى الضوء على طبيعة ونمط العلاقات الاجتماعية التى يمكن أن تسود مثل هذا المجتمع ؛ فهذه القصور المنعزلة المنفصلة عن بعضها،والتى تميز ما يطلق عليه حديثا مفهوم " الكومبوند " تدل على العزلة وعدم التواصل بين سكان المكان وبعضهم البعض من ناحية ؛ حيث الخصوصية فى أكثر معانيها صرامة، وبينهم وبين غيرهم من سكان المناطق الأخرى من ناحية أخرى .أى أن العزلة والاستبعاد الاجتماعى هما الملمح الأساسى لهذا المكان.

٢-الملامح والسمات الفيزيقية للمكان المغاير "شبرا ": وفى المقابل يأتى وصف المكان المغاير لمدينة "يوتوبيا "والمتمثل فى منطقة أو حى "شبرا" من خلال عرض التباين الصارخ بينهما، فهذا التباين فى النمط العمرانى الذى تصوره الرواية يوضح تباين أسلوب الحياة فى كليهما بما يعمق من مفهوم الاستبعاد الاجتماعى، ففى حين صمم النمط المعمارى فى يوتوبيا بما يحقق الرفاهية لسكانها من الأغنياء المترفين كما سبقت الإشارة أعلاه ، فإننا نجد المكان المغاير "شبرا" قد تم إهماله حتى صار كما يعلن النص " خليط عجيب من الروائح والأصوات والمشاهد .. فى هذه الرائحة الغريبة ذابت روائح غريبة من المأكولات والوحل .. وربما الدماء"([٦٠]).

ويحاول النص أن يقيم توازيا بين الوصف الجغرافى فى كلتا المنطقتين يوضح كم التناقض بينهما؛ فمنطقة المولات فى "يوتوبيا" يقابلها منطقة السوق فى شبرا ، ومنطقة القصور يقابلها منطقة العشش الصفيح .ويصور النص ذلك التناقض على لسان أحد أبطال الرواية قائلا : " الآن نخرج من منطقة السوق هذه كى نتوغل بين مجموعة من العشش الصفيح أو المصنوعة من البامبو وبقايا الأخشاب ...مزيج من الوحل وبقايا الغسيل والمجارى الطافحة .أمشى فى حذر لأن التعثر هنا نوع من الانتحار ."([٦١])

وفى إطار ما شهدته جغرافيا المكان من تبدل في ظل التغير الذى اعترى المجتمع بصورة عامة يتم وصف حالة التدهور العمرانى التى وصل لها حى" شبرا" فيذكر النص على لسان شخصية "جابر"كيف تحول حى شبرا من منطقة تتمتع بخدمات إلى منطقة عشوائية تعانى الفقر والزحام والتخلف سواء على مستوى النمط العمرانى أم فى سلوكيات سكانه ، فيذكر" أشق طريقى بين العشش العتيقة التى كانت فيما مضى تشكل شارع شبرا .نعم أذكر أنه كان هنا شارع واسع تمشى فيه السيارات على الجانبين ". وفى موضع آخر "هكذا غادرنا الكوخ الحقير لنخرج إلى شوارع فى غاية الازدحام والفقر هناك لمسات تدل على أنه كانت هناك حكومة يوما ما ثم تخلت تماما عن كل شىء .. فى الأزقة والشوارع الجانبية تحدث المشاحنات لأى سبب ومن دون مبرر ." ([٦٢]) وفى وصف المترو يذكر " لقد انتهى أمرها منذ كف السادة عن استعمالها ورحلوا الى مستعمراتهم يوتوبيا وسواها"([٦٣]).

هذا، وقد أشارت نتائج بعض الدراسات التي أجريت في مجال علم الاجتماع إلى كثير من الجوانب التي تم عرضها في الرواية فيما يخص وجود تباين واضح فى نوعية الحياة وحالة البيئة داخل مجتمع المدينة، حيث يتضح هذاالتباين في انتشار ما يعرف بالمناطق الفقيرة المزدحمة بالسكان والمناطق العشوائية التى يقطنها السكان بوضع اليد داخل وحول المناطق الحضرية، حيث تشترك هذه المناطق فى عدة صفات منها " الكثافة السكانية العالية والمكدسة فى منازل دون المستوى ،والنقص فى مياه الشرب والصرف الصحى ،والنقص فى الطرق الممهدة، ونقص عمليات جمع القمامة كلية أو لدرجة كبيرة . ولقد أدت المشاركة فى هذا البؤس إلى تحويل معظم هذه المناطق إلى مجتمعات شبه مغلقة أصبحت مصادر رئيسية للسلوكيات المناهضة للبيئة، الناتجة عن غياب الانتماءالبيئى وتزايد معدلات التلوث البيئي، مقارنة بالأحياء الحديثة في المدينة.([٦٤])

وبوجه عام تصور الرواية كيف يصير المكان بمعماره وسماته الجغرافية – تلك التي تسهم في عملية إنتاجه اجتماعيا– تعبيرا رمزيا عن التمايز ،ومن ثم الاستبعاد الاجتماعى الكائن بين الفريقين .

المحور الثالث:المكان وعلاقته بإنتاج أنماط الاستبعاد الاجتماعى ومظاهره كما تصورها الرواية

شهد المجتمع المصرى منذ العقد الأول من القرن الحادى والعشرين تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية عديدة، وكان من أبرز التحولات على الصعيد الاجتماعى" حدوث تحولات فى النسق الطبقى ، فتشرذم المجتمع إلى شريحة عليا تتمثل فى فئة قليلة من رجال الأعمال، وشرائح دنيا تمثل غالبية سكان مصر، فضلا عن تفكيك الطبقة الوسطى إلى شرائح اتجه بعضها إلى أعلى السلم الاجتماعى ،واتجه أغلبها إلى الشرائح الدنيا، وظلت هناك شريحة متوسطة بحجم ضئيل حيث تراجعت أدوارها المعروفة فى المجتمع "([٦٥]). وقد ارتبط بهذا الانقسام الطبقى الحاد فى المجتمع نمو الاستبعاد الاجتماعى القائم على أساس مكانى ؛ حيث اتخذ الاستبعاد الاجتماعى شكلا ماديا تمثل فى الأحياء السكنية المغلقة التى تسمى" ذات البوابات"(...) فالأحياء السكنية لها القدرة على استبعاد بعض من يمكن أن يقيموا فيها ؛وذلك من خلال التمييز وتكلفة السكنى ،وباستعمال البوابات والأسوار ([٦٦]) وهذا ما حاولت الرواية رصده من خلال تركيزها على الدور الذى يقوم به المكان فى صنع أنماط مغايرة من الاستبعاد، وذلك في ارتباطه بتحولات الفترة الزمنية التى تمثل خلفية تاريخية لأحداث الرواية ،وبخاصة فترة ما قبل ثورة يناير ٢٠١١ وما تلاها، تلك الفترة التى شهدت تنامى ظاهرة الاستبعاد على أسس مكانية بصورة كبيرة.وتمثلت أنماط هذا الاستبعاد القائم على أسس مكانية التي رصدتها الرواية في نمطين من الاستبعاد: الاستبعاد الجبرى أو القسرى،والاستبعاد الإرادى أو الطوعى. ويمكن توضيح الكيفية التي تم بها تناول هذين النوعين من الاستبعاد من خلال التحليل التالى :

١-الاستبعاد الجبرى أو القسرى: وهو الأكثر والأوسع انتشارا "ويمكننا أن نطلق عليه استبعاد الفقراء القابعين فى القاع والمعزولين عن التيار الرئيسى للفرص التى يتيحها المجتمع."([٦٧]) فالمستبعدون هنا يعانون استبعادا متعدد الأبعاد سواء من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية أم السياسية أم الثقافية . وفى هذا الصدد تشير إحدى الدراسات إلى " أن المعاناة من الاستبعاد بلغت فى مصر قبل ثورة يناير ٢٥ ذروتها نتيجة لتنامى عملياته وتعدد مخرجاته إذ انتشرت مظاهر اللامساواة والتفاوت ، ووضحت مؤشرات تراجع العدالة الاجتماعية، وبخاصة صور اللامساواة فى فرص الحياة أمام الفقراء، وتفاوت فرص التعليم ، فضلا عن التفاوت فى المؤشرات الصحية. وهذا التفاوت فى فرص الحياة يعكس حالة التقصير فى أداء الأنساق الاجتماعية التعليمية والصحية لوظائفها ، كما أفصحت محصلة الاستبعاد الاجتماعى عن نفسها فى انخفاض مستوى الرفاهية الاجتماعية فى مصر فى ذلك الوقت وتعدد صور الحرمان واتساع دوائر الفقر ."([٦٨])

وقد عبرت الرواية عن هذه الحالة السابقة على لسان أحد أبطالها قائلا :"هنا رأيت بؤسا وشقاءا وجوعا... رأيت خوفا وهذا غير معتاد...فى عالمنا لا ترى الخوف كثيرا، إنما هو نوع من الاستسلام للمصير والقنوط"([٦٩]). ولاحظ هنا التعبير بكلمة (هنا) ظرف المكان فى إشارة لحى شبرا الذى يمثل مكانُ سكنى المستبعدين قسرا ، وكيف تم ربطها بالبؤس والشقاء والجوع .وبصورة عامة استطاعت الرواية الربط بين المكان وهذا النوع من الاستبعاد الجبرى أو القسرى من خلال رصد عدد من مظاهر الاستبعاد يمكن إدراجها فيما يلى :

أ–التمييز على أسس مكانية: يتضح هذا التمييز القائم على أسس مكانية من خلال نظرة الاحتقار والاستعلاء التى ينظرها أهل يوتوبيا الأغنياء لأهل شبرا من الأغيار الفقراء. فبداية هم أغيار يتم وصفهم بهذه الكلمة تمييزا لهم عن أهل يوتوبيا؛ للدلالة على الفرق الكبير بينهما.ويفصح هذا التمييز عن ذاته عبر صفحات الرواية فى كثير من المواقف والأحداث. فعلى سبيل المثال تبدو هذه النظرة من قبل بطل الرواية الذى ينتمى لمجتمع يوتوبيا فى حديثه عن أحد الأغيار الذى يفر من سيارة كادت أن تقتله فيقول مستنكرا:"لا تقاوم يا أحمق.مالذى تمنحك إياه لحظات أخرى من العيش مع الأغيار؟..فرارك هذا لا يختلف عن فرار صرصور على جدار مطبخ أو أميبا تنزلق تحت عدسة مجهر"([٧٠]). فهو هنا يشبه الرجل الذى تم اصطياده من الأغيار بالصرصور أو الأميبا والتى يعدها كائنات طفيلية هامشية ليس لها الحق فى الحياة .وفى موقف آخر يبدو هذا التمييز من خلال المعاملة غير الآدمية التى يعامل بها الأغيار حتى بعد موتهم، فحينما يموت أحدهم ويأتى أحد الحراس الأمريكيين الذين يحرسون أهل يوتوبيا ليتفحص الجثة "يركلهابطرف حذائه " ([٧١]).وفى موقف آخر يقول مستنكرا:" لسبب ما،لا أفهمه يصر هؤلاء على أن يعيشوا. فعلا لا أمزح هنا أو أبالغ لو كنت من الأغيار لتركت عجلات السيارة تمر فوق أحشائى ([٧٢]).

ب– الشك والتوجس وفقدان الثقة:التى يتبناها أهل يوتوبيا عن الأغيار وعدم الاطمئنان إليهم، فهناك خوف دائم وكره ظاهر لهذه الفئة من الفقراء الأغيار، واعتقاد راسخ لدى أفراد الطبقة الغنية بأن مثل هؤلاء حاقدون عليهم بصورة مستمرة .ولهذا يتم وصفهم من قبل بطل يوتوبيا بلفظة " الرعاع " فيقول :" الحقد فى العيون كان واضحا جليا ... ذات النظرة التى ظهرت فى عيونهم وهم يهدمون الباستيل ...هم ذاتهم .إن للرعاع جنسا وشكلا موحدين مهما تباينت بلدانهم ولغاتهم ..."([٧٣])

ج–ثقافة الفقر: ويعد الفقر من بين أبرز مظاهر الاستبعاد الاجتماعي في المجتمعات ؛ وهو نتاج وسبب لهذه الظاهرة الاجتماعية ؛ لأنه يؤدي إلى عدم القدرة للوصول إلى تحقيق الحد الأدنى من الاحتياجات...."([٧٤]) ويرتبط الفقر بظهور ما يسمى ثقافة الفقر ،"وهى ثقافة فى مجموعها تحول دون التغيير ودون الخروج من حلقة الفقر."([٧٥])وتتضمن هذه الثقافة مجموعة من السلوكيات وأساليب الحياة التى يتخذها المستبعدون للتكيف مع الفقر، كما تتسم بملامح مادية تخص المكان، حيث يتسم المكان بالافتقار لكثير من الخدمات والمرافق، إضافة لوجود ملامح غير مادية تتعلق بالأخلاقيات والسلوكيات الفاسدة ،وهو الأمر الذى يرصده النص عند وصفه لمكان معيشة الأغيار"حى شبرا" على لسان "بطل يوتوبيا" فنجده يصف المكان قائلا :"وسط الظلام مشينا فى الحارات والأزقة المتسخة التى لا ينيرها إلا مشعل هنا أو هناك وسط باعة السمك الفاسد ... باعة المخدرات ... باعة الأجساد .. الشباب الذين يمزقون بعضهم فى مشاجرات لا تنتهى ... الأفاقين والنصابيين وباعة الأعشاب ... وسط برك الماء الآسن وبقع الكيروسين وجثث الكلاب التى تم تجريدها من اللحم ... باعة الأجهزة المسروقة .. الصبية الذين يلعبون القمار على قفص دجاج مقلوب ..وسط كل هذا نبتعد"

ويحاول النص إبراز الكيفية التى يحاول الفقراء التكيف من خلالها مع ظروف وأوضاع الفقر الذى يعيشونه بوسائلهم الخاصة،وفى ذلك يذكر "بطل يوتوبيا ": "والخلاصة التى توصلت لها بعد دقيقة فى هذا العالم

هو أن هؤلاء القوم يتظاهرون بأنهم أحياء .يتظاهرون بأنهم يأكلون لحما، ويتظاهرون بأنهم يشربون خمرا ،وبالطبع يتظاهرون بأنهم ثملوا وأنهم نسوا مشاكلهم .... يتظاهرون بأن لهم الحق فى الخطيئة والذلل. يتظاهرون بأنهم بشر.الآن فقط أفهم لماذا عزلنا أنفسنا فى يوتوبيا .لم يعد فى هذا العالم إلا الفقر والوجوه الشاحبة التى تطل منها عيون جاحظة جوعى متوحشة ... منذ ثلاثين عاما كان هؤلاء ينالون بعض الحقوق أما اليوم فهم منسيون تماما ... حتى الكهرباء والماء مشكلة فردية لكل منهم ..." ([٧٦]).

وتلقى الفقرة السابقة الضوء على ما أصاب الفقراء فى المجتمع من أضرار بالغة نتيجة تراجع الدولة وانسحابها بشكل أو بآخر عن تقديم الخدمات فى المجالات الأساسية لحياة هؤلاء البشر فى ظل سياسات الخصخصة والإصلاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى التى تمت فى فترة التسعينيات من القرن العشرين وما تلاها ، وهو ما يرصده النص الروائى من خلال استعراض ما شهده المجتمع من تحولات عديدة فى هذه الفترة ، ففى توصيفه لحالة الفقر يروى " جابر ""الصورة التى تريانها كانت موجودة منذ البداية لكن بشكل غير واضح ثم تضخمت شيئا فشيئا ... يصير الأغنياء أغنى والفقراء أفقر ، ثم تأتى لحظة يحدث فيها الانهيار . ويبدو لى أن هذا حدث فى العشر سنوات الأولى من هذا القرن . فجأة انهار السد. لم تعد السياحة قادرة على إطعام هذه الأفواه .إسرائيل افتتحت قناتها التى صارت بديلا جاهزا لقناة السويس. الدول الخليجية نضب بترولها أو تم الاستغناء عنه بعد ظهور البايرول وطردت العمالة الوافدة. وهكذا وجد الاقتصاد عليه عبئا قاصما وانعدمت الخدمات للفقراء؛ لأن الدولة أعفت نفسها تماما من مسئولياتها ،وخصخصة كل شيء ولم تعد هناك حكومة ،أو لم تعد هناك حكومة تعبأ بنا. مع الوقت توقفت الرواتب وتوقفت الخدمات وذابت الشرطة وبالتالى لم تعد علينا ضرائب"([٧٧]).

كما يوضح النص كيف يكون الفقر سببا في ظهور الجرائم المختلفة ،وكيف يمكن اعتبار هذه الجرائم صفعة قوية على وجه المجتمع ؛حين يعجز عن تلبية احتياجات بعض فئاته ،فيكون الانحراف هو الصورة الأكثر بروزا في مثل هذه البيئة، وهنا يظهر معنى الأنومى وفقدان المعايير بين الأفراد. يتضح ذلك من خلال حديث "جابر" عن نوعية الجرائم التي ترتكب في هذه البيئة المكانية الفقيرة من اغتصاب وقتل كتداعيات سلبية لهذا الفقر ،فيتم الحديث عن حالات الاغتصاب التي يقوم بها العاطلون وجرائم القتل التي ترتكب للحصول على مبالغ مالية زهيدة لا يمكن أن تكون سببا في قتل نفس إنسانية، فيذكر" فى أوائل القرن الحادى والعشرين وفى أخر إحصاء أمكن عمله كان هناك ٣٥ مليون مصرى يعيشون تحت خط الفقر ،وكذا كانت البطالة قد وصلت إلى أعلى معدلاتها العالمية (١٠ ملايين عاطل) لاحظ أن ٧٨% من مرتكبى الاغتصاب عاطلون ...أى أن جريمة الاغتصاب هى فى الحقيقة اغتصاب للمجتمع ([٧٨])، وفى موقف آخر يذكر:"إمرأة تقتل طفلة من أجل قرط لا يساوى أكثر من ماءة جنيه ."([٧٩]) وهو من خلال سرده لهذه الجرائم يحاول أن يردها إلى كم التغيرات والتحولات التي شهدتها الشخصية المصرية ،تلك التي جعلت العنف ملمحا من ملامح هذه الشخصية التي عرفت على مدار تاريخها بالتسامح فيقول "الشخصية المصرية قد لاقت الكثير من المرمطة فى المائة عام الأخيرة حتى صارت كزوجة عاملها زوجها بتوحش عدة أعوام ومن ثم أصبحت هى ذاتها أقرب إلى الوحشية والشراسة، وكلما

زاد الجهل قلت سيطرة قشرة المخ على السلوك .. وهذا يجعل الجرائم التى ارتكبتها الطبقات الدنيا حيوانية بالمعنى الحرفى ...."([٨٠])

وفى توصيفه لحالة الفقر هذه يتخذ النص من نمط المأكل ونوع الملابس دالة ومؤشر على هذا الفقر الذى يعيشه الأغيار؛ فيصف بطل يوتوبيا نوعية الطعام التى تقتصر على أرجل وأجنحة الدجاج متعجبا فيقول:"يبدو أن أرجل الدجاج رائجة كذلك الرؤوس والأجنحة ، لكن أين الدجاج نفسه؟ حتى دجاجهم تحول إلى عظام يكسوها الجلد فقط لا عضلات ولا أحشاء" ، وفى موقف آخر يقول "الطعام الذى أعدته لنا صفية هذه كان خليطا من الفول والطعمية طعام الأغيار المقدس .."([٨١]) كما تمثل الملابس "شهادة توثيق للواقع؛ فهى صورة لغوية تعبر عن نفسها وعن كونها رمزا للهوية"([٨٢]). وهذا ما يحاول النص التأكيد عليه من خلال وصفه نوعية الملابس التى يستعملها الفقراء الأغيار من أهل شبرا فهى عبارة عن "أكوام من الثياب المتسخة المستعملة تباع بمائة جنيه للقطعة"([٨٣]) .

لقد كان هذا الكم من الفقر الذى تعرف إليه بطل يوتوبيا لدى الأغيار في حى شبرا أحد العوامل المهمة التي من خلالها أدرك لماذا حصن أهله مدينتهم يوتوبيا بالأسوار العالية والحراسات المشددة فيقول"الآن فقط أفهم هذه الأسوار العالية ورجال المارينز والمطار الداخلى . لو تركنا كل هذا لسال هذا الطوفان ليغرقنا ويقتلنا ..لا أعرف كيف وصل الأمر لهذا الحد لكن لابد أن يستمر"([٨٤]).

د–نظرة التبخيس الذاتى: وتبدو هذه النظرة من قبل الفقراء المستبعدين لذواتهم؛ لأنهم يعدون أنفسهم أقل مكانة وأقل وضعا من هؤلاء الأغنياء الذين يعاملونهم بكونهم عبيدا لديهم ،وفى ذلك يتحدث "جابر"عن شخصية "بطل يوتوبيا" قائلا:"المشكلة أن يكون قد خلق حاجزا نفسيا من العبودية داخلى .المشكلة أن أقتنع أنا نفسى بأنه أفضل وأروع وأكمل وربما أنقى ...أنا عاجز عن قتلهما ... السؤال الوحيد هو هل هذا لأن يوتوبيا أقوى منى ..."([٨٥]).

ولعل هذا الشعور بالدونية فى حضرة أهل يوتوبيا هو ما يجعل "جابر" ابن الطبقة الفقيرة يحاول الاعتداء على "جيرمين" ابنة الطبقة المترفة، معتقدا بأنه حين يفعل ذلك ينتقم من طبقتها، بل يرى ذلك نصرا فيقول"..إنه النصر. هذا هو النصر الوحيد الذى أستطيع تحقيقه. قهر هذه الفتاة ليس قهر أنثى بل هو قهر طبقة بأكملها..."([٨٦])

وتتأكد هذه النظرة من خلال الاعتقاد الراسخ لدى هؤلاء المستبعدين من الأغيار باحتقار الآخرين لهم، فنجد" جابر"يخاطب" بطل يوتوبيا "قائلا:" أنا لا أثق بقسمكم لأنكم تتعاملون معنا كأننا تحت مستوى الآدمية وتكذبون علينا بالسهولة نفسها التى يكذب بها المرء على خروف "([٨٧]).

وهنا يحاول النص ببراعة أن يعبر عن تلك الفكرة القائمة على التفرقة بين الفريقين من خلال تضمين الرواية جزءا من إحدى قصائد الشاعر "عبدالرحمن الأبنودى" لتكون بمثابة النص الموازى المعبر عن فكرة الفصل بين أهل يوتوبيا وأهل شبرا،حينما ينقسم المجتمع الواحد إلى مجتمعين أو شعبين " إحنا شعبيين .. شعبين شعبين شوف الأول فين والتانى فين ؟ وادى الخط ما بين الاتنين بيفوت .. انتو بعتوا الأرض بفاسها وناسها ...

وإحنا ولاد الكلب الشعب .. إحنا بتوع الأجمل وطريق الصعب والضرب ببوز الجزمة وبسن الكعب ... والموت فى الحرب .. الأبنودى." ([٨٨])

وهنا نلاحظ اللغة التى يتم من خلالها التأكيد على هذا الفصل الحاد بين أبناء المجتمع الواحد مابين شعب يتاجر بكل شيء من أجل مصلحته الخاصة وهؤلاء هم المترفون من أهل يوتوبيا، وآخر يكافح ويجاهد ويتحمل كل المصاعب من أجل البقاء. ولاحظ دلالة التعبير " ولاد الكلب الشعب ".الذى يوحى بإهدار القيمة الإنسانية لهؤلاء البشر الذين يتم تجريدهم من الانتساب الإنسانى .

هـ- الوصمة الاجتماعية:"تؤكد بعض الكتابات الاجتماعية أن الوصمة الاجتماعية للمكان تلحق الأذى بسكانه المترددين عليه ، فسكان الأحياء المتخلفة غالبا ما يوصمون بالانحراف السلوكى وقد يكونوا على غير ذلك، ولكن تلصق بهم وصمة المكان" ([٨٩]) ، وهنا قد يصبح الانتماء لمكان ما كفيل بإلحاق الوصم الاجتماعى لسكانه ،وهو الأمر الذى يرصده النص الروائى عبر صفحات الرواية ؛ فدائما ما يتم وصم أهل" شبرا" من الأغيار بالجريمة والاتجار بالمخدرات والإدمان وبأنهم أقل ذكاءا وأكثر خنوعا بعكس أهل" يوتوبيا"، وفى ذلك يذكر بطل يوتوبيا:" بشكل ما يستحق الفقراء كل ما هم فيه . إنهم أقل ذكاء من أبائنا. إنهم ضعيفوا الإرادة خاملون تركوا أنفسهم يُسرقون كل هذا الزمن من دون أن يحركوا إصبعا ،هم بهذا انحدروا إلى درجة أقل من مرتبة الحيوان.هم ظلوا خائفين صامتين . ما دامت الحياة ممكنة فلنبق صامتين. ما دام عشاء الليلة موجودا فلنبق صامتين .لهذا لا أحمل أى تعاطف نحوهم وقد زادتنى هذه المغامرة مقتا لهم "([٩٠]).

و- التهميش الاقتصادى:والذى يعد أحد المظاهر الدالة على أثر العولمة فيما يخص تحولات المدينة كمكان اجتماعى ؛"فمع بزوغ عمليات العولمة يلاحظ وجود عناصر نظام اقتصادى جديد وملامحه المكانية الاجتماعية؛حيث يتخذ هذا النظام أشكالا متميزة من التنظيم المكانى للاقتصاد الحضرى يتمثل فى أبنية إعادة الإنتاج، وتنظيم لعمليات العمل .ويكمن فى هذه التيارات أشكال متعددة من الاستقطاب ، ووجود فقر حضرى مركز على التشغيل والهامشية ، ووجود تشكيلات طبقية جديدة. وهو ما يسهم في تشكل جغرافيات جديدة من الهامشية التى أصبحت واضحة على نحو متزايد ليس فقط فى العالم الأقل تقدما، وإنما أيضا داخل البلدان عالية التقدم ، ففى المدن الكبرى فى كل من العالم المتقدم والنامى يوجد جغرافيا جديدة للمراكز والأطراف ،والتى لم تسهم فقط فى تقرير اللامساواة القائمة، وإنما أيضا فى بدء تحريك سلسلة من الديناميات الجديدة واللامساواة"([٩١]). والتهميش الاقتصادى . وتعبر الرواية عن هذه القضية ؛حيث يتم استبعاد الفقراء من الوظائف الحيوية ويتم التركيز على كونهم يشغلون فقط تلك الوظائف التى يأبى أو لا يليق بأحد من أهل يوتوبيا العمل بها. وفى ذلك يعلق" بطل يوتوبيا " على منظر عمال يوتوبيا من الأغيار "الوجوه التعسة للعمال الذاهبين للعمل فى مستعمرت الساحل...الفرانين وجامعى القمامة وصائدى الفئران... كلهم سيئو التغذية ممتقع الوجه.. كلهم مهزوم.. كلهم واهن ... كلهم سوف يبدأون عملهم فى ورديات الليل .. سيعملون عشر ساعات متواصلة ثم يعودون ...من الخير أن يموتوا هنا والآن .."([٩٢]) وفى موقف آخر يذكر :"هناك عُمال فى يوتوبيا لأن هناك أعمالا لا نستطيع القيام بها ...يأتون صباحا بحاملة خاصة ويعودون بها ليلا وهم تحت المراقبة فى كل

الظروف .. لا يتكلمون ولا يرفعون عيونهم ، لكنك تشم منهم خليطا مزعجا من المقت والخبث والتملق والغضب المكبوت والرائحة الكريهة ... سنوات من القهر جعلتهم أقرب إلى الوحوش .. يوم بيوم يفقدون جزءا من أدميتهم حتى صاروا كائنات مريعة بحق "([٩٣]) .

ز-شيوع اليأس والاحباط : يظهر اليأس والإحباط حينما يشعر الفرد بوجود هوة شاسعة بينه وبين تحقيق أحلامه لأسباب يضعها المجتمع والواقع فى طريقه، وحينما يكون تحقيق الذات قائم على مسوغات غير موضوعية كالوساطة وغيرها دون الاهتمام بالكفاح والعمل الجاد ، فنجد "جابر" يصف نفسه قائلا :" لا أقدر على الموت ... أنا بكتيريا مرغمة على الحياة مهما حدث لها "([٩٤])، فهو يمثل نموذجا للشاب الذى يكافح ويستطيع إنهاء تعليمه الجامعى رغم صعوبة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها،ومع ذلك ينتهى به المطاف للعمل فى كنف أحد البلطجية .وفى ذلك تذكر أخته "صفية"" هو من طبقة التلامذة .إنهم هؤلاء الذين دخلوا كليات أو جامعات منذ عشر سنوات ثم لم يجدوا عملا ولم يستطيعوا أن يصنعوا شيئا بما تعلموه، لكن علاقاتهم بالكتب لا تنتهى .منذ عشرين سنة لم يعد لأحد فرصة على الاطلاق .. لو لم يكن أبوك ضابط شرطة أو رجل أعمال أو تاجر يورثك تجارته فلا فرصة لك على الإطلاق وسوف تنضم لهؤلاء الذين يشمون (الكلة) فى الخرائب "([٩٥]).

ويحاول النص فى الفقرة السابقة إلقاء الضوء على ظاهرة بطالة المتعلمين التى يعانى منها الشباب فى المجتمع فى العقود الأخيرة ، واقتصار المناصب العليا فى المجتمع على بعض الفئات دون غيرها ، كما يحاول كاتب النص تحليل أوضاع وتحولات الواقع الذى يدفع بالفقراء إلى حافة الهاوية فيعلن على لسان شخصية "جابر":"أنا لست اقتصاديا ولا سياسيا .. دعك من أننى لم أتلق تعليما منتظما منذ دخلت الجامعة المجانية .. فقد كانت هناك مؤشرات مخيفة وكان على الجميع أن ينتبهوا لها.. عندما أفحص صحف العشر سنوات الأولى من القرن أشم الكثير من الدخان ، فلماذا لم يفعل أحد شيئا ؟ لأن الجميع تواطأ علينا .. الجميع تواطأ على أن نعيش بلا مأوى . بلا مشرب بلا مأكل . بلا ثياب ... وأخيرا بلا أحلام ."([٩٦]) وفى موقف آخر يعلن " علي أن أحيا بلا أحلام لن يكون هناك شيء يا صاحبى لا اليوم ولا غدا ولا بعد يوم حياتك كلها حاضر طوييييل (ماذا تنتظر) ، لن يكون هناك غد .الغد أخذوه منك وعليك أن تقبل كما قبلت الأيكون عندك مأكل أو مشرب أو ثياب أو سقف أو كرامة أو أسرة أو تلاجة أو هاتف أو تلفزيون أو رابطة عنق أو أصدقاء أو حذاء "([٩٧])

كانت هذه أبرز مظاهر الاستبعاد الجبرى أو القسرى التي تضمنتها رواية "يوتوبيا "

٢-النوع الآخر من الاستبعاد الذى تصوره الرواية هو الاستبعاد الإرادى:وهو استبعاد الطبقة المترفة التى يأتى استبعادها بطريقة طوعية ؛ فتفرض على المنتمين لها عزلة اختيارية لتصير مجتمعا مغلقا.ويمثل هذه الطبقة فى النص أهل "يوتوبيا "المدينة المسيجة التى يصعب مجرد الاقتراب منها "من العسير أن تقترب من يوتوبيا دون تصريح سوف يفرغ فيك الماريينز طلقات بنادقهم."([٩٨]) ويتسم هذا النوع من الاستبعاد هو الآخر بعدد من المظاهر يرصدها النص الروائى في الآتى:

أ-العزلة الاجتماعية:وإذا كانت العزلة المفروضة على الأغيار فى النص عزلة جبرية ، فإنها هنا تتخذ شكلا طوعيا ،"وسواء اتخذت هذه العزلة شكلا طوعيا أو قهريا فهى تقوض التضامن الاجتماعى من أساسه ،والذى

يكمن فى الإحساس بمشاعر الرفقة والألفة التى تمتد لتتجاوز الأشخاص الذين يكون المرء على صلة شخصية بهم،فالتضامن فى حده الأدنى هو تقبل الأغراب كبشر لهم الاحتياجات والحقوق الأساسية نفسها ".([٩٩]) ويصور النص الروائى هذه العزلة التى يفرضها أهل يوتوبيا على أنفسهم بطريقة طوعية من خلال إقامة مجتمعا منغلقا على ذاته داخل المجتمع الأكبر ؛حيث" أدركت الطبقة الثرية أنه لا حياة لها ما لم تنعزل بالكامل، وبنفس منطق قلاع القرون الوسطى عندما كان الحكام يقيمون الحفلات الماجنة بينما الطاعون يفتك بمحيط الفقر الخارجى ."([١٠٠]) لذا يحاول القائمون على مثل هذه المجتمعات توفير الخدمات المختلفة التى يحتاجونها داخلها بما يعنى الاستغناء التام عن المجتمع الخارجي، وفى ذلك يشير النص" تلك المجتمعات المغلقة لها خدماتها الخاصة المستقلة....كل مستعمرة لها جريدتها الخاصة لكن هناك جرائد عامة لا تستطيع قراءتها من فرط ما فيها من سخف .الحقيقة أن لنا تليفزيونا خاصا يعرض فقط ما تريده أنت نظام الكابل وسينما المنزل ..."([١٠١]) ولا شك أن استخدام الكاتب هنا للفظة مستعمرة جاء للدلالة على الإنغلاق التام عن المجتمع الخارجي .

ب-إعلاء المصلحة الفردية : اعتبر "رايسمن" أن شخصية الفرد الذى ينتمى إلى المدينة الصناعية موجها ذاتيا؛فالفرد فى هذا المحيط ينطلق فى علاقته مع الآخرين من إمكاناته ومصالحه ،وهو يتميز بالفردانية أو التمركز حول ذاته فى هذه العلاقة ،وتسمح مرونته بالتكيف مع التغير السريع الذى يشهده محيطه؛ فتجربته تختلف بصفة جذرية عن تجربة أهله ،كما أنه يسعى إلى اكتساب مكانته وممتلكاته بنفسه."([١٠٢]) وينطبق هذا الرأى على من يسكنون "يوتوبيا" من أفراد الطبقة الثرية الذين لا تعنيهم سوى مصلحتهم الشخصية دون مراعاة لمصالح غيرهم من الفقراء، بل يتم استغلال هؤلاء من أجل تحقيق أغراضهم ومصالحهم الخاصة ، ويبدو هذا المنطق النفعى لأهل يوتوبيا من خلال الإشارة إليهم بكونهم " صنعوا ثرواتهم من لحم الأغيار وأحلامهم وأمالهم ...([١٠٣])، وفى ذلك يواجه جابر "بطل يوتوبيا "قائلا :" كان أباؤكم من طبقة استطاعت أن تستخدم نفوذها للإثراء ..حسابات مصرفية فى الخارج قروض من المصارف .. احتكار .. كل شيء كان فى مصلحة أباءكم وضدنا على طول الخط . هكذا استطاعت هذه الطبقة أن تتماسك وتزداد ثراء بينما هوينا نحن إلى الحضيض .. لكن الحياة معنا صارت أمرا مستحيلا ...([١٠٤])

وارتباطا بمنطق المنفعة الخاصة الذى تعتنقه الطبقة المترفة من أهل يوتوبيا يتم اختزال الأغيار الفقراء من أهل شبرا في كونهم مجرد سوق لتصريف منتجاتهم ،وفى ذلك يوضح "جابر " "وهكذا تكون مجتمعان أحدهما يملك كل شيء والآخر لا يملك شيئا ...أهمية المجتمع الثانى لا تزيد عن كونه سوقا استهلاكيا لا بأس به . حتى لو كان يعانى الفقر فإن كثافته السكانية تسمح بكل شيء ... لو ابتاع كل منا زيتونة فلسوف يصير بائع الزيتون مليونيرا ."([١٠٥]) ويبدو هذا المنطق النفعى واضحا أيضا فى حديث بطل يوتوبيا عندما يسأل جابر لماذا ساعدهما على الهروب بدون مقابل لأنه ابن هذه الثقافة التى تمجد المنفعة الخاصة فيقول متعجبا :" لماذا تفعل هذا كله ...لا أحد يفعل شيء من غير ثمن ... الثمن قد يكون مالا قد يكون منصبا قد يكون جسدا قد يكون إحساسا بالتفوق ... هناك ثمن دائما ..."([١٠٦])

ج–اغتراب الهوية وضعف الانتماء الوطنى لدى أهل يوتوبيا :يتطرق النص لاغتراب الأجيال الجديدة ممن ينتمون لمثل هذه التجمعات الجديدة ، وما يمثله ذلك من خطورة على قضية الانتماء الوطنى، ففى ظل الجهل والتجهيل بتاريخ الأمة يتحول الشباب لمجرد قطيع ممسوخ الهوية ، منقطع الصلة بجذوره في ظل ثقافة عولمية تغريبية تسلبه وطنيته قوميته، ويؤكد النص على هذه القطيعة المعرفية التي يتمثلها الشباب في إطارهم القيمى من خلال الحديث حول قضية العداء التاريخى مع إسرائيل وحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ التي يعدها بطل يوتوبيا أمر ماض لا يستحق الوقوف عنده كثيرا فيقول:"هذه أمور مر عليها خمسون عاما ..لا أعرف لماذا – فى حقبة ما – كان المصريون يكرهون الإسرائيليين؟ لكنى لا أهتم بفهم هذه الأمور(١٠٧)وما يثير الدهشة أن مجتمع يوتوبيا يعييش به إسرائيليون،فحينما يسأله جابر"هل لديكم أسرائليون فى يوتوبيا ؟ يخبره قائلا"– كثيرون...أعز أصدقائى منهم."وهو ما يجعل جابر يعلق موضحا الفرق بين مجتمع الفقراء ومجتمع أهل يوتوبيا"هذه سمة مهمة لدى قومك..نحن الفقراء لم نكف عن اعتبار إسرائيل عدوا."(١٠٨)

وفى ذات السياق يؤكد النص على اغتراب الهوية وتتفتتها من خلال التماهى مع الآخر المختلف حضاريا وثقافيا في ظل الحياة المترفة التي يعشها هؤلاء الشباب دون وجود هدف وغاية محددة ، ولذا يتم وصف بطل يوتوبيا على أنه" مواطن يوتوباوى ذوبتك الحياة المترفة وذوبك الملل فصرت لا تعرف الأمريكى من المصرى من الإسرائيلى صرت لا تعرف نفسك من الآخرين.(١٠٩) هنا يبدو وكأن الاستبعاد المكانى فى يوتوبيا يلازمه استبعاد من نوع آخر يقوم على وجود قطيعة مع التاريخ فى ظل الانغماس فى الملذات الحسية التى يوفرها مجتمع يوتوبيا المعولم.

د– الولع بثقافة الاستهلاك كنوع من التأكيد على إعادة التفاوت فى البنية الطبقية :

ومن مظاهر الاستبعاد الإرادى الولع بثقافة الاستهلاك التي تقوم فى مجملها على تمجيد كل ما هو مادى بحيث يصير الاستهلاك واقتناء رموزه هدفا فى حد ذاته كنوع من التمايز عن الآخرين. وتبدو هذه الثقافة واضحة بكل ما تتضمنه من رموز استهلاكية فى كل تفاصيل حياة أهل يوتوبيا من الطبقة المترفة، سواء على مستوى جيل الأبناء أم جيل الآباء؛ فشخصية "بطل يوتوبيا" ابن الطبقة الجديدة الذى يبلغ من العمر ستة عشر عاما والذى يعيش هوس ثقافة الاستهلاك هو خير من يتمثل هذه الثقافة فى حياته اليومية ، فهو يتحدث عن نفسه قائلا:"أتأكد أن شعرى حليق بطريقة هنود الموهكيان الشهيرة . أصلع على جانبى الرأس والخصلة البنفسجية العالية فى المنتصف مثل ديك برى ثائر..والصدر عارى إلا من عدة قلائد عملاقة ،هناك جماجم وأيقونات من سحر الفودوو..لست بعابد شيطان. فى الواقع أنا لا أصدق وجود شىء على الإطلاق ،لكن هذه الأشياء تبدو مثيرة على صدرى .الوشم كذلك غريب يروق للفتيات هنا..أعلق القرط الجديد فى غضروف أنفى والقرط الآخر فى حاجبى . لن أضع حلية اللسان اليوم .أقوم بتلوين اسنانى .أضع العدسات اللاصقة الجديدة التى تجعل لون العينين أبيض.تأثير مثير للفتيات أن ترمقهن بعيون مبيضة كأنك الموت هذا يقهرهن فعلا."(١١٠) ،كما نجده أثناء تواجده في شبرا لاصطياد أحد الأغيار وما عايشه في هذا المجتمع من معاناة يتذكر أسلوب ونمط الحياة المترف في يوتوبيا قائلا:"أتذكر يوتوبيا وبيتى والدولارات التى أبعثرها . أتذكر الشلة والفلوجستين.أتذكر كلبى

الذى يلتهم ما يشبع خمسة من هؤلاء يوميا. لست مستعدا لحظة للتخلى عن هذا كله، لكنى كذلك لا ابتلع فكرة وجود كل هذا الفقر. "([١١١]) . وفى موقف آخر تصف "لارين" أم "بطل يوتوبيا "كم الترف الذى يعيشه ابنها قائلة :"معك من المال ما يكفى لشترى يوتوبيا كلها بما حولها .. لديك من الفتيات ما يشبع شهوات سلطان فحل من سلاطين الف ليلة وليلة .والفتيان أيضا. لديك من وسائل التسلية ما يسرى عن جيش من اليتامى الباكيين وأحفادهم كذلك .إذن أين هى المشكلة ويرد عليها . المشكلة هى هذا كله ... لدى كل شىء .."([١١٢])

أما على مستوى الآباء،فلا يختلف الأمر كثيرا،فالأم هي الأخرى مولعة بتمثل ثقافة الاستهلاك في كل مناحى حياتها، فعلى سبيل المثال يذكر النص"لارين عائدة من المول حاملة عدة أكياس تحوى ما تحتاج إليه...أعرف أن أكثر ما تبتاعه لا حاجة لنا به ...إنه الممل...والإحباط" ([١١٣])

ومن خلال تحليل النص يتضح التأكيد على النظر للاستهلاك الترفى كمظهر ومؤشر على التمايز الطبقى داخل المجتمع،وهو ما يمكن القول معه بأن أنماط الإنفاق لا تعكس التفاوت فى البنية الاجتماعية فقط،ولكنها أيضا تعيد التأكيد عليه مرة أخرى .وهوالأمر الذى أكده "بورديو" حينما رأى أن "الحياة اليومية مملوءة بأعمال"مصغرة"لأوضاع اجتماعية تؤدى إلى الإدراج فى،أو الاستبعاد من الجماعات الاجتماعية المفضلة. ويستخدم أفراد الطبقة المميزة عاداتهم الاستهلاكية للحفاظ على هوية طبقتهم،واستبعادالطبقة الأقل مقاما.وبالفعل يصبح الاستهلاك أكثر أهمية فى المجتمعات؛حيث تمثل السيولة النقدية المكانة الاجتماعية. وهكذا تكتسب السلع فى المجتمع الاستهلاكى الحديث نوعا جديدا من الأهمية الرمزية "([١١٤]). وبهذا يعمل الاستهلاك على زيادة حدة التمايز الطبقى في المجتمع "ذلك أن المستوى المتنامى للثراء يعنى وجود تقلص في وقت العمل وزيادة في الوقت الذى يقضيه الناس في الاستهلاك . كما أن التمايز الاجتماعى يوسع نطاق الاستهلاك الفج على امتداد البنية الهرمية السوسيو–اقتصادية "([١١٥]).

إضافة لما سبق يتضمن النص المعانى المتعلقة بدور الاستهلاك فى إعادة التفاوت فى البنية الطبقية من خلال الإشارة إلى الشعور بالعجز الذى تستشعره طبقة الفقراء المستبعدين من دائرة الاستهلاك الترفى ،الذى لا تقدر على الاقتراب منه، ففى ظل مجتمع الاستهلاك يتحول هؤلاء لإحدى آليات ثقافة الاستهلاك التى يتم توظيفها لخدمة الطبقات المترفة بفضل قوتها الشرائية التى تتيح لها شراء كل شىء بما فيه هؤلاء الفقراء، وفى يذكر جابر" إلى قلب يوتوبيا جوار ذلك المول ...إليت مول .حيث سعار الاستهلاك واللعاب يتساقط على الأرضية البراقة ... بينما العبيد والجوارى من عندنا يقفون بانتظار تلبية طلباتكم..عبد يجلب لكم العصير وجارية تساعدكم فى اختيار ثوب مناسب ... كل شىء متاح للبيع حتى العبيد أنفسهم"([١١٦]) . وتلقى هذه الفقرة الضوء على ما تمثله هذه الثقافة من خطورة ،حينما يتحول كل شئ إلى سلعة قابلة للبيع بما فى ذلك البشر أنفسهم .

هـ–الاستعلاء:وتتضح نظرة الاستعلاء من خلال شعور الفوقية التى يعشها بطل الرواية المنتمى لأهل يوتوبيا وأفراد طبقته، ولذا يخاطب الأغيار" أنتم أقل منا فى كل شىء ... هذه سنة الحياة يجب أن تقبلوها .."([١١٧]) فهولاء القوم فى نظره أقل درجة من البشر ، فهو يصفهم قائلا:"هؤلاء الذين خارج الأسوار خراف لا أكثر صدقنى "([١١٨]). وفى ذلك نجده يرد الفقر الذى يعانى منه الأغيار من الفقراء لأسباب تعود لسلبيتهم وخنوعهم فيقول:"

ليس فقركم ذنبنا...أنكم تدفعون ثمن حمقاتكم وغبائكم وخنوعكم ... هه هه أنتم لم تفهموا اللعبة مبكرا لهذا هويتم من أعلى إلى حيث لا يوجد قاع ..هه..هه...ما ذنبنا نحن"([١١٩]) كما تبدو نظرة الاستعلاء أيضا حينما يستنكر على الأغيار طرقهم فى التخلص من حياتهم بالانتحار ليس لكون الانتحارشيئا محرما ؛ لكن لأنه على حد تعبيره " يبدو سوقيا وبلدى جدا ..."([١٢٠])

المحورالرابع:سلطة المكان ودورها فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين داخل النص الروائى:

تمنح العلاقات بين إدراك المكان وتنظيمه من ناحية، وممارسة السلطة والقوة من ناحية أخرى دلالة خاصة فى وجهتى النظر الموضوعية والذاتية للمكان من وجهة نظر علماء الاجتماع ،فالمكان بالنسبة ل "لوفيفر" هو وسيلة للتحكم والهيمنة والسيطرة. والقوى الديناميكية الأساسية فى المجتمع ....وبالنسبة لفوكو– الذى كان مهتما بالروابط بين المكان والسلطة بشكل خاص – ليس التنظيم المكانى إلا بعدا آخر لخطاب الضبط والتحكم الذى يمهد الطريق إلى تيسير المراقبة والحظر . وبحسب معظم منظرى المكان فإن تكوينات السلطة هى التى تنتج القيود المكانية ؛ وبناء عليه تقوم هذه التكوينات بتعيين الحدود والتصنيفات والملكية ... الى غير ذلك "([١٢١]).

فى إطار هذا الفهم يتم مناقشة وتحليل الكيفية التى تسهم بها سلطة المكان فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين داخل النص:سواء المستبعدين بطريقة جبرية أم بطريقة إرادية ،"فالمكان يحدد الطبيعة الاجتماعية للشخصية الموجودة فيه ،وبالتالى تتأثر الشخصية بمتغيرات هذا المكان حتى تصبح هى المتحدث الرسمى عنه."([١٢٢]) " ولا تسطيع الشخصية فى تعاملها مع الأحداث فعلا أو قولا أن تفلت من قبضة هذا الحيز المكانى "([١٢٣]). والدراسة في هذا المنحى تنظر لرواية يوتوبيا بكونها نصا روائيا متعدد الأصوات "تجسد فيه اللغة صراعا حواريا مستمرا بين الأيديولوجيات ووجهات النظر عن العالم ..."([١٢٤]) بمعنى أنه لا ينطوى على خطاب واحد أو رؤية واحدة ، بل ينطوى على عدة خطابات تنتمى لعوالم المستبعدين المختلفة،ولذا يتم البحث عن اللهجات الاجتماعية والخطابات المختلفة التى ينتقدها أو يتبناها النص في ارتباطها بالمكان الذى أنتجها بما يسهم فى الكشف عن الكيفية التى يتشكل من خلالها خطاب المستبعدين داخل النص ، وهو ما يمكن تفصيله فيما يلى :

١–سلطة المكان ودورها فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين استبعادا جبريا :

يظل البشر مقيدين بالفضاء المادى الذى يعملون ويوجدون فيه ،وبالبيئة التي يعاد تشكيلها على الدوام أثناء الصراع البشرى من أجل المعنى والهوية ، فحول الأمكنة تتشكل التجربة البشرية وتكتشف، وتدار مشاركة الحياة ويتشكل معناها ويُستوعب ويتفق عليه. وحول الأمكنة ومن الأمكنة تتشكل الدوافع والرغبات وتتبلور ...."([١٢٥])

وفق ماتقدم يحاول النص وصف المكان فى علاقته بالبشر من حيث السطوة والسلطة التى يتحكم بها فى مصائرهم ،وفى تشكيل نمط حياتهم ،وفى حالة المستبعدين جبريا يمثل المكان (شبرا) بيئة مكانية وثقافية ذات ملاح وقسمات مميزة،ولذا يتم تقديمه بكونه مكانا يفرض آلياته وقوانينه الخاصة التى تدعم الشعور بالعزلة

والإنغلاق عن ما عداه من عوالم وأماكن أخرى؛ فالنص يقدم الحى بوصفه "عالما قائما بذاته داخل المدينة نادرا ما ينتهكه العالم الخارجى ، فهو مكان ليس للسلطات فيه تحكم بشكل فعلى، يعيش البشر فيه حياتهم الشخصية بدون تدخل كبير من العالم الخارجى.هذا النقص فى السلطة الخارجية يعادله نظام ضبط اجتماعى"([١٢٦]). داخلى تضعه الجماعة المحلية الموجودة فى هذا المكان،فعلى سبيل المثال ،يفرض المكان على قاطنيه قانونا يتمثل فى وجوب وجود عمل لكل فرد بغض النظر عن مشروعية هذا العمل ،وفى ذلك يذكر جابر: "لا أحد يعيش هنا بدون عمل .عمل قذر .. عمل حرام .. عمل غير قانونى .. ليكن ما يكون .. المهم أن تعمل.."([١٢٧])

كما يقوم هذا النظام من الضبط الاجتماعى الداخلى على سيطرة الأقوياء من أهل الحى على الضعفاء الذين يضطرون من أجل البقاء السير في ركابهم والاحتماء بهم ومسايرتهم؛ فقانون القوة هو الذى يسود المكان ؛حيث يقهر الضعفاء ويدركون أن لهم حدودا لا ينبغي لهم تجاوزها إن أرادوا العيش بسلام، وفى ذلك يذكر جابر ": أعرف حدودى وأعرف أننى لهذا السبب بقيت حيا .يجب أن تلتصق بالعصابات ، تلتصق بالأقوياء الذين يأخذون ما يريدون. يجب أن تكسب مودتهم وتقنعهم أنك ضرورى لهم لكن لا تلتصق بهم أكثر من اللازم فتفقد حياتك عندما يفقدونها " ([١٢٨]) .

إضافة لماسبق يسهم المكان في إنتاج خطاب للمستبعدين جبريا تنهار فيه القيم والأخلاق، فالبيئة المكانية الفقيرة تدفع بقاطنيها للتنازل عن تلك القيم والأخلاق، وهو ما يشير إليه النص " مع كل هذا الفقر إنهار حاجز الأخلاق وصار الجنس أسهل شيء يمكنك الحصول عليه .... فإن لم يكن فهو الاغتصاب."([١٢٩]) ولهذا تمارس مثل هذا الأفعال دون استهجان من أحد في سبيل الحصول على المال بأى طريق.

وما تجدر الإشارة إليه فيما يخص هذه النقطة السابقة، وجود خطاب موجه للمرأة في هذه البيئة المكانية يحط من شأنها ويجعلها وسيطا لتحقيق أهداف معينة، فيتم اختزال المرأة في مجرد كونها جسدا ،كما يتم تجريدها من إنسانيتها لتصبح سلعة يتاجر بها المسيطرون من أهل الحى في سبيل الحصول على المال ،ويتم تصدير هذه الصورة للنساء الفقيرات أنفسهن؛ فيتم التعامل مع أجسادهن وفق هذا المنطق دون أن يشعرن أن في ذلك نوع من الإساءة إليهن ؛ بل يعتبرن ما يقمن به مهنة كأى مهنة أخرى ،وهذا ما أثار انتباه بطل يوتوبيا أثناء وجوده في شبرا فيقول :"على أبواب العشش تقف نساء قذرات بشعات المنظر يضحكن لى فى إغراء. أعتقد أن أصغرهن تجاوزت الخمسة والثلاثين منذ زمن لكنها لا تمارس مهنتها بسبب تأخرها فى الزواج بل من أجل المال."([١٣٠])

إضافة إلى ما سبق تتضح لغة وخطاب العنف كأحد السمات المرتبطة بالمكان في كل من يوتوبيا وشبرا؛ فالبرغم من اختلاف طبيعة المكانين والفرق الشاسع بينهما كما وكيفا ،إلا أن التطرف الشديد سواء المتعلق بالترف الشديد بالنسبة للمكان الأول،أو الفقر الشديد بالنسبة للمكان (شبرا) يسهم في إنتاج ذات الأنماط من العنف ،وفى ذلك يذكر جابر:"كلانا هنا وهناك نعشق العنف ...كلانا هنا وهناك نحب المخدرات. كلانا هنا وهناك نرى أفلام الاغتصاب فى نهم ... هناك يتعاطون المخدرات ليفروا من الممل ،وهنا نتعاطى المخدرات لننسى عذاب اللحظة "([١٣١])، وهو الأمر الذى يرصده أيضا بطل يوتوبيا قائلا "ومن الغريب أن الأغيار يقبلون

على ذات الأفلام فى تليفزيوناتهم الرخيصة لكن لأسباب تختلف . حب العنف هنا سببه الملل . حب العنف هناك سببه الفقر."

أما الهامشية فتمثل أحد مكونات خطاب المستبعدين في شبرا، وهنا يبدو أثر البيئة المكانية الفقيرة فيما تفرضه على البشر من خطاب تهميشى يدعو للاستسلام والرضوخ للواقع فى ظل حياة بلا معنى أو هدف كونها بيئة تفتقر للمقومات اللازمة للحياة، وفى هذا المعنى يذكر جابر" الأمور كانت تسوء بلا انقطاع وفى كل مرة كان الفارق بين الوضع أمس واليوم طفيفا لذا يغمض المرء عينه كل ليلة وهو يغمغم : أهى عيشة. ما زالت الحياة ممكنة . ما زال بوسعك أن تجد الطعام والمأوى وبعض العلاج .. إذن فليكن غد ، ثم تصحو ذات يوم لتدرك أن الحياة مستحيلة وأنك عاجز عن الظفر بقوت غدا ومأواه."([١٣٢])

وحول هذا المعنى السابق تشير إحدى الدراسات إلى أن الفرد الذى ينتمى لهذه الفئات المهمشة داخل المجتمعات العشوائية يشعر بالاغتراب عن المجتمع .....كما أن الخبرة التى اكتسبها هؤلاء عبر الأجيال قد علمتهم أنهم غير قادري على مقاومة الأوضاع القائمة ،وبأنه من غير المحتمل أن يحدث تغيير يخفف عنهم وطأة الاستغلال ،وأن الرؤية الواقعية والحكمة تقتضيان استسلامهم ورضوخهم للأوضاع التى يرزحون تحت وطأتها ...."([١٣٣])

ويحاول النص التأكيد علي معدلات الكثافة السكانية العالية التى تشهدها" شبرا" ،كأحد مكونات خطاب الفوضى الذى يميز هذا المكان ؛ فالبرغم من الفقر والقهروعدم وجود رعاية طبية واجتماعية مناسبة ،إلا إن أهل شبرا يستمرون في الإنجاب بمعدلات كبيرة ،وهو ما يدعو للتساؤل من قبل بطل يوتوبيا" لماذا يستمرون فى التكاثر إذن ؟ معدل الخصوبة عندنا فى يوتوبيا يوشك أن يكون صفرا ، بينما معدلاتهم فى ارتفاع متزايد .ينجب الرجل عشرة أطفال يموت منهم خمسة لأنه لا يوجد عناية طبية من أى نوع، لكن الزيادة مستمرة برغم كل شىء.لأن التكاثر هو رفاهية الفقراء الوحيدة .. دعك من أن كل هؤلاء يعتقدون أن واحدا من أبنائهم سيغير كل شىء .. فى انتظار هذا المجهول يتكاثرون والصبى يسعى بحثا عن رزقه كدجاجة لا أحد يعرف ان كان قد مات أو أكل أو نام فى سن الحادية عشر يتعلم استنشاق الكلة وبعد هذا سيضطر لارتكاب الجريمة كى يتعاطى ما هو أفضل ."([١٣٤])

ومن المفارقات التي يشهدها المكان شبرا ، والتى تمثل أحد مكونات خطاب المستبعدين هنا الشعور بالتآلف والوحدة بين سكانه الذى أسهم في إيجاده الفقر الذى يجمعهم،نظرا لتقاربهم فى معظم إن لم يكن كل الخصائص الاجتماعية والثقافية، فالبيئة الفقيرة تفرض على سكانها شعورا بالوحدة ؛حيث يجمع الفقر بين الجميع ويوحد بينهم؛ فلا مجال للصراع أو الاختلاف الذى قد يشهده المجتمع فى قطاعات أخرى ،وبخاصة على أسس دينية .وفى توصيفه لهذا الوضع يذكر جابر عن أهله الفقراء:" لو كانت هناك ميزة وحيدة لمجتمعنا فهى أنه لا يعرف شيئا اسمه التفرقة الدينية لقد تحققت جنةالمساواة الطائفية ولكن بشكل عجيب لم يدر بذهن أكثر الفلاسفة جموحا منذ ساوى الفقر بين الجميع."([١٣٥])

٢- سلطة المكان ودورها فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين إراديا :

ومن خلال تحليل النص الروائى يتضح وجود خطاب للمستبعدين بصورة إرادية يبدو مغايرا بدرجة كبيرة عن خطاب المستبعدين بصورة جبرية في ظل بيئة مكانية مغايرة كلية من حيث الشكل والمضمون ، فالمكان (يوتوبيا) هوالآخر مكان مغلق له قوانينه الخاصة التي تحكمه ، والتي تحدد نمط الخطاب والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه "هذا المجتمع قد أفرز قوانينه الخاصة ومحاكمه .... الأخطاء هنا أن ندمر الملكية الفردية ."([١٣٦]) ويتضح هذا الانغلاق في وجود خطاب لغوى يتم من خلال مفرداته التأكيد دوما على الاختلاف الكبير بين أهل يوتوبيا ، وبين الأغيار، فيتم استخدام تعبيرات لغوية تدل على وجود فكرة موحدة ومتسقة يعتنقها أهل يوتوبيا ككل تقوم على الفصل التام بين العالمين ،وهو ما يوحى باستحالة حدوث أي نوع من الاندماج بينهما ؛ففي اجتماعات الكبار من أهل يوتوبيا يتم التأكيد على هذا الاختلاف بصيغة النحن في مقابل الآخر الذى يمثله الأغيار : "نحن أسرة واحدة .....لسنا مثل الأغيار...."([١٣٧]) وفى موقف آخر حينما يستمع بطل يوتوبيا لقصيدة عبدالرحمن الأبنودى إحنا شعبين يقول : " لم أفهم شيئا ... فقط أفهم أنه يغلى من الحقد الاجتماعى . هذا هو كل شىء "([١٣٨]) .

إن الإحساس الذى يمثله ضمير المتكلم "نحن" فى الفقرة السابقة ،والذى يعبر عن الرغبة في التماثل ، إنما هو طريقة تستخدم لاجتناب ضرورة النظر العميق في الاختلاف بينهم ؛فالاندفاع نحو جماعة التماثل هو علامة انسحاب ليس فقط من الغيرية الموجودة بالخارج ، ولكن أيضا من الالتزام بالتفاعل الحى الثقيل والنشط المضطرب في الداخل ، فجاذبية جماعة التماثل تمثل وثيقة تأمين ضد المخاطر التي تحيط بالحياة اليومية في عالم تتعدد فيه الأصوات وتختلف ([١٣٩])، فالتماثل الاجتماعى للفضاء ، وما يعززه من انعزال مكانى ويؤكده يقلل من احتمال سكانه للاختلاف، ومن ثم يضاعف إمكانات ردود الأفعال الصادرة عن الخوف من الاختلاط فتصبح حياة المدينة أكثر عرضة للمخاطر وأشد قلقا لا أكثر أمنا وأمانا وإمتاعا ([١٤٠]).

وبصورة عامة نجد أنه كما تتكرر ثنائية نحن وهم للتأكيد على الاختلافات بين مجتمع يوتوبيا ومجتمع شبرا، نجد كذلك تكرارا لثنائية هنا وهناك المتعلقة بالمكان بصورة كبيرة داخل النص، وذلك لأنه في "إطار ثنائية هنا وهناك يتم التعبير دوما عن ال (هناك) بوصفه مثار التوجس"([١٤١])، والشك فيمن يأتون منه أو يقيمون فيه ،ف(هناك) دوما ما تأتى محملة بمشاعر سلبية وتصورات نمطية عن الآخر المرتبط بها، في حين تشير ال(هنا) للمكان الآمن المعبر عن الذات والهوية بكل مكوناتها.ويبدو التأكيد على هذه المعانى فى كثير من المواقف التى يتم فيها المواجهة بين الفريقين ، فعلى سبيل المثال بعد ضرب بطل يوتوبيا لفتاة من شبرا نجد بعض شباب شبرا يهتفون"إنهم ليسوا منا...هذان من يوتوبيا "([١٤٢]) كما نجد أحد بلطجية الحارة يخاطب جابر قائلا: " انت تعرف كما أعرف أن هذين من يوتوبيا ... هما من أصحاب الدار ... هذان ليسا كلبين هذان يملكان الكلاب فلماذا جاءا هنا .."([١٤٣])

وفى ذات السياق يتم استخدام أسماء الشخصيات كدالة اجتماعية على الفصل والاستبعاد بين البشر القائم على أسس مكانية، فأسماء البشر في يوتوبيا تتفق والنمط المعولم من الثقافة والحياة التي يختص بها المكان يوتوبيا؛ لذا نجد الأسماء ذات الصبغة الأجنبية هي التى تسود هذا المكان (هنا) يوتوبيا مثل: شادى

وراسم وريرى ولارين وجيرمينال وسوزان وكاتى ومايا ، في حين ينظر للأسماء التقليدية التي تسود حى شبرا ال(هناك)مثل : باتعة وزكية بنوع من الاحتقار، فنجد بطل يوتوبيا يذكر:" هل تعرفين أنهم هناك لا يستعملون أسماء لارين جيرمينال ...يستعملون أسماء مثل باتعة وزكية وعطيات "([١٤٤]).

وينتج مجتمع يوتوبيا خطابا يقوم في مجمله على الازدواجية والتناقض بين القول والفعل من ناحية، كما يحمل تناقضا أيضا بين أفعال الشخصيات في المجالين: الخاص والعام من ناحية أخرى، والملفت للنظر إدراك الشخصيات في هذا المكان لهذه الازدواجية ، وتبدو هذه الازدواجية في أكثر من نقطة ؛فعلى سبيل المثال تحرم رياضة صيد البشر في مجتمع يوتوبيا ، بينما تبدو رياضة ممتعة ومثيرة حين يتم صيد البشر من الأغيار، وفى ذلك يعلن النص :" يعتبرون صيد الأغيار من البشر رياضة ونوعا من اختبار الرجولة ." ([١٤٥]) فشعار أهل يوتوبيا العام "افعل ما تريد طالما لم تعتد على مال باقى سكان يوتوبيا والأهم افعل ما تريد لكن أبقه سرا..."([١٤٦]) ؛أى أن هناك خطابا ظاهرا يبدو في الحياة العلنية المتاحة للآخرين ، وخطابا آخر يتم في الخفاء في المجال الخاص؛ ففي حين يتظاهر أهل يوتوبيا بالورع والتقوى نجدهم يقومون بأفعال تتنافى مع ما يتظاهرون به في العلن ،وفى ذلك يذكر النص :" الثراء والورع ثنائى محفور كما يبدو فى عقول جيل الآباء المصريين منذ دهور في حين يوجد خطاب خفى وغير معلن يستدمجه هؤلاء..كل هذا الورع لن يقنعنى بأنهم لا يعاقرون الخمور ويغتصبون نساء الأغيار ورجالهم طيلة الوقت ."([١٤٧]) ،وفى موقف آخر تصف إحدى العاملات من الأغيار أحد رجال يوتويوبيا الكبار فتقول :" إنه وغد ولص . يحب الشابات المليحات.ولديه جيش من الجوارى ."([١٤٨])

وتمشيا مع عصر العولمة والدعوة إلى تفتيت الهويات، وفى ظل مجتمع يرزح تحت عبادة الأشياء والمظاهر المادية وفق ما يسمى مجتمع الفرجة يختلف معنى التدين في يوتوبيا؛ فيفقد محتواه ويتحول لمجرد شكل برانى ؛ ولذا يتم إنتاج خطاب وفهم للدين يتماشى مع طبيعة المكان المعولم حتى في تدينه فنجد بطل يوتوبيا على سبيل المثال يتعجب من استمرار وجود بعض الناس المتدينين في هذا المجتمع فيقول:"البعض هنا ما زال مصرا على أن يخاطب ذاتا عليا لا يراها."([١٤٩]) كما أن المتدينين في نظره لا يكون تدينهم مكتملا ؛ لأنهم يهدفون من وراء التدين تحقيق منفعة ما تتلخص في الخوف من فقد مكتساباتهم ،وفى ذلك يقول :"عندنا فى يوتويوبيا متدينون كثيرون والطائرات الذاهبة للعمرة لا تتوقف لكن السبب كما أعتقد هو خوف سادة يوتوبيا من أن يفقدوا كل شيء فى لحظة . أن يصحوا ليجدوا أنفسهم وسط هذا الزحام يبتاعون شطائر من كبد الفئران ويشربون الكحل الأحمر . الخلاصة أنه من العسير اليوم أن تجد متدينا للتدين فى حد ذاته ."([١٥٠])

ومن الملاحظات المهمة التى يتضمنها النص فيما يخص دور المكان فى إنتاج خطاب المستبعدين إراديا التأكيد على أثر التباعد المكانى في تعميق هشاشة العلاقات والروابط الإنسانية بين البشر الذى تخلقه البيئة المكانية المغلقة،وبخاصة على مستوى الأسرة نفسها التي يفترض أن تقوم العلاقات بين أفرادها على التقارب والتواد؛ فنحن هنا نفاجيء بنمط علاقات مغاير يقوم على تفسخ العلاقات الأسرية ، وانحلال الروابط بشكل فج ،ويبدو ذلك في عدد من المظاهر ؛ فلغة الخطاب التي يخاطب بها الابن أمه وأبيه أو حتى التي يتكلم بها عنهما توحى بهذا التباعد الذى تنتجه الحياة في مثل هذه المجتمعات ؛فبطل الرواية المنتمى ليوتوبيا يقرر أنه

فقط بدأ يمارس عادة قراءة الكتب ليتحدى أبواه " لقد بدأت القراءة على سبيل التحدى ؛لأن مراد لا يقرأ وكذلك (لارين) من الجميل أن تفعل شيئا لا يطيقانه ."([١٥١])، كما تختفى من قاموس مفرداته البوح بأى فضل لهما عليه " لا أحد يتدخل فى حياتى على كل حال .من حقى أن أتعاطى أى شىء بأى كمية وبأى ثمن وإلا فما كان عليهما أن ينجبانى .ليست الأبوة عملا عظيما لهذا الحد ... بوسعى أن أكون أبا لألف ابن لو أعطيتنى ألف امرأة "([١٥٢]) فالأب في نظره مصدر فقط لتوفير المال الذى ينفقه على رغباته ونزواته دون الاهتمام بأية قيم تتعلق بالإحساس بالأبوة ؛ ولذا حينما يأتى ذكر اسم والده من أحد الأغياربوصفه أحد الرجال الفاسدين من أهل يوتوبيا يعلق"وماذا يهم؟مراد هو الرجل الذى يصدر الأوامر لأرفضها ويعطينى المال .ما أهمية سلوكه الأحلاقى ؟ أنا لست مسئولا عن أخلاق أبى"([١٥٣]) كما يلاحظ أنه ينادى كلا من أبويه باسمه مجردا فيقول مراد ولارين، ويعلل ذلك قائلا : "لا أحد فى يوتوبيا يستعمل لفظة بابا وماما ."([١٥٤])

إن هذا النمط من التباعد الاجتماعى يتفق مع مفهوم الحب السائل الذى تحدث عنه "زيجمونت باومان" في كتابه" الحب السائل" ،فالحياة الاجتماعية في يوتوبيا يمكن تلخيصها في ظل الحداثة السائلة التي يعشها أهل هذا المكان في :آباء وأمهات معنيون بالدرجة الأولى بتكديس الأموال ونهب الفقراء لتحقيق ثروات طائلة ،وبتحقيق الرغبات المتجددة دوما في ظل ثقافة الاستهلاك الترفى، أما الأبناء فتتلخص حياتهم ما بين السهر وتناول المخدرات والقيام بالمغامرات المجنونة والسلوكيات الشاذة وغير المسئولة، والبحث عن المتعة المؤقتة والعارضة، وفى ذلك يصف بطل يوتوبيا اهتمامات الشباب في يوتوبيا قائلا:"الإثارة – خرق القواعد – التحدى كسر التابو– المشاغبة المخالفة –الهدم –التوتر الأدرينالين –التمرد –التغير –الانحلال ... هذا هو اسم اللعبة "([١٥٥]) ،وفى وصفه لرتابة هذه الحياة ومللها يذكر "كونت قناعة لا بأس بها هى أنه لا جديد تحت الشمس ...هناك خلل أدى إلى ما نحن فيه ،لكنه خلل يجب أن يستمر. كل من يحاول الإصلاح يجازف بأن نفقد كل شىء "([١٥٦]).

في مثل هذه البيئة الاجتماعية يظهر نمط الإنسان المتمركز حول ذاته ورغباته الاستهلاكية اللحظية، والذى يعد أحد نتائج الحداثة السائلة التي تحدث عنها "باومان"، ولا شك أن أهل المكان (يوتوبيا) هو خير من يمثل ذلك النمط الإنسانى . فإنسان الحداثة السائلة كما يصفه باومان "يقرر أنه لا يرغب في دفع أثمان ولا استثمار وقت ولا التضحية من أجل أن يحصل على مزايا التواصل الاجتماعى. ببساطة تحول هذا الإنسان من وضوح العلاقات الاجتماعية إلى غموض الصلات العابرة في ظل تنامى السيولة في كل شيء من حوله .وفى ظل تحول ما كان يسمى "المجتمع " إلى مجرد تجمع بشرى ".([١٥٧])

وبصورة عامة، وفى ختام هذه النقطة المتعلقة بالكشف عن سلطة المكان ودورها فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين داخل النص الروائى يمكن الخروج بملاحظتين :الأولى :أن الكاتب حاول إبراز هذه السلطة بشكل واضح حينما جعل في استطاعة بعض الشخصيات التى تنتمى للمكان (يوتوبيا)أو تلك التى تنتمى للمكان المغاير(حى شبرا) في الرواية أن تعيش تجربة التواجد ولو فترة وجيزة في مكان الآخر، فمن خلال وجود هذه الشخصيات في غير أماكنها المعتادة استطاعت الوقوف على مدى الاختلاف والمغايرة القائمة بين

المكانين(أوالمجتمعين)،سواء فيما يخص الاختلافات المادية المتعلقة بالوسط الفيزيقى أم تلك المتعلقة بالجانب الاجتماعى، ومايتضمنه من قيم متصارعة يحملها كل فريق من الفريقين ؛ فالأماكن هنا تأتى لإبراز القيم المتصارعة والتأكيد عليها ،وتتفق هذه النتيجة مع دراسة "مى التلمسانى" التي توصلت لهذا الأمر في دراستها عن الحارة في السينما المصرية ؛فقد توصلت إلى أن الأماكن تأتى لإبراز القيم الصراعية المتنافرة والتأكيد عليها بقوة من خلال وجود الشخصيات في غير أماكنها المعتادة،ذلك الحضور المؤثر الذى يسمح بدمج الأمكنة وانفتاحها في آن.([١٥٨]) .أما الملاحظة الأخرى : فتتلخص فى أنه بالرغم من أن كل من" يوتوبيا" و""شبرا كمكانين مغايرين لبعضهماالبعض قد شكل كل منهما كيانا متوحدا ومتماسكا من الناحية الظاهرية البرانية فى مقابل الآخر المناقض له ،إلا أن المكان بتفاصيله أدى دورا مهما في تشظى هويات الشخصيات في كل منهما وتشتتها من الداخل ولذا وجدنا كل من شخصية بطل يوتوبيا ،وشخصية "جابر" البطل المضاد يعانى الاغتراب والتمزق فيقول يطل يوتوبيا عن نفسه "أنا الذى لا أنتمى لمكان ولا أشخاص ولا مبدأ..... فى كل موضع أنا غريب مختلف شاذ أحمق غير متكيف وغير مندمج." ([١٥٩])

تاسعا:النتائج العامة للدراسة :

تمثل الهدف الرئيس للدراسة الراهنة في محاولة رصد العلاقة بين المكان وخطاب الاستبعاد الاجتماعى كما تتناولها الرواية المصرية ؛كونها أحد الخطابات الأدبية ذات القدرة الكبيرة على تصوير الظواهر الاجتماعية بطريقة تسهم في تعميق وزيادة الوعى الإنسانى والمجتمعى فيما يخص فهم وتحليل هذه الظواهر، وقد جاءت النتائج التي توصلت إليها الدراسة كالتالى :

١-فيما يتعلق بخصائص وعوامل إنتاج المكان الاجتماعى " فى النص الروائى" : تبين وجود مكانين رئيسين يمثل كل منهما بالنسبة للآخر مكانا مغايرا :المكان الأول هو مدينة "يوتوبيا"،التى تعد المعادل الموضوعى لمفهوم المدن المسيجة الذى انتشر بصورة كبيرة فى المجتمع المصرى فى الفترة من أواخر التسعينيات من القرن العشرين وحتى الآن ، وفى المقابل يوجد المكان المغاير له (حى شبرا)،الذى يعد المعادل الموضوعى لمفهوم المناطق الفقيرةوالعشوائية بما تتضمنه من قيم وسلوكيات مناقضة لمجتمع يوتوبيا . وقد توصلت الدراسة إلى أن الرواية رصدت خصائص وعوامل إنتاج كل من هذين المكانين اجتماعيا كالتالى :

أ- طرح النص الروائى الخصائص والسمات الفيزيقية للمكان "يوتوبيا"بما يسمح بإعادة إنتاجه اجتماعيا مرة أخرى داخل النص؛حيث جاء وصف هذا المكان من الناحية العمرانية ،ليضع تصورا لشكل الحياة ونمط العلاقات الاجتماعية التى يمكن أن تنشأ فى مثل هذا المكان الذى يتم إنتاجه وصنعه وفق متطلبات محددة تحقق غرض الاستبعاد الذى أقيمت من أجله مثل هذه الأماكن المعزولة ،وهنا نلاحظ الأثر الذى تحدثه البنية الاجتماعية فى إنتاج نمط وتنظيم عمرانى يتلائم وطبيعة من يسكنون هذا المكان باعتبارهم فئة أو طبقة اجتماعية منغلقة على ذاتها بعيدا عن بقية طبقات المجتمع الأخرى .

ب-وفى المقابل طرح النص الخصائص والسمات الفيزيقية للمكان "شبرا "بطريقة مغايرة بما يسمح بإعادة إنتاجه اجتماعيا مرة أخرى من خلال عرض التباين الصارخ بين المكانين ؛ فهذا التباين فى النمط العمرانى

الذى تصوره الرواية يوضح تباين أسلوب الحياة فى كليهما بما يعمق من مفهوم الاستبعاد الاجتماعى ؛ ففى حين صمم النمط المعمارى فى "يوتوبيا" بما يحقق الرفاهية لسكانها من الأغنياء المترفين ، فإن المكان المغاير "شبرا" يمثل نموذجا للحى الشعبى العشوائى ذو النمط العمرانى المتدهور الذى ينعكس في أسلوب ونمط حياة سكانه ، وحيث يصير المكان بمعماره وسماته الجغرافية تعبيرا رمزيا عن التمايز، ومن ثم الاستبعاد الاجتماعى الكائن بين الفريقين .

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتائج دراسة روث لبتون وآن باور فى دراستهما عن الاستبعاد الاجتماعى والأحياء السكنية ؛ فقد توصلت إلى أن الأحياء الفقيرة تعد – بمعنى ما – مؤشرا دالا على الاستبعاد الاجتماعى ؛ فهى تجسد بشكل حاد المشكلات العامة المتصلة بالتقسيم الاجتماعى ، وعدم المساواة ونقص الفرص أمام البعض فى المجتمع ،كما أن تركز البشر الأكثر حرمانا فى مثل هذه الأماكن يضاعف من الصعوبات التى يواجهها الأفراد، ومن ثم يعمل على تفاقم الاستبعاد ويحول بينهم وبين الاندماج .

٢- وفيما يخص الكيفية التي يسهم بها المكان في إنتاج أنماط الاستبعاد الاجتماعى ومظاهره كما تصورها الرواية :توصلت الدراسة إلى أنه مع التغيرات العديدة التي شهدها المجتمع في الحقب الأخيرة ، وبخاصة فترة ما قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ وما تلاها ،زادت معدلات الانقسام الطبقى الحاد فى المجتمع،والذى ارتبط بنمو الاستبعاد الاجتماعى القائم على أسس مكانية ؛ وهذا ما حاولت الرواية رصده من خلال تركيزها على الدور الذى يقوم به المكان في إنتاج أنماط مغايرة من الاستبعاد تختلف أسباب قيام كل منها باختلاف المكان،وتمثلت هذه الأنماط في نمطين أساسيين عبرت عنهما الرواية :

١-النمط الأول : الاستبعاد الجبرى أو القسرى : وهو الأكثر والأوسع انتشارا؛فالمستبعدون في هذا النمط يعانون استبعادا متعدد الأبعاد سواء من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية أم السياسية أم الثقافية ..وبصورة عامة استطاعت الرواية الربط بين المكان وهذا النوع من الاستبعاد الجبرى أو القسرى من خلال رصد عدد من المظاهر أمكن إدرجها في :

أ-التمييزعلى أسس مكانية: وقد اتضح هذا التمييز القائم على أسس مكانية من خلال نظرة الاحتقار والاستعلاء التى ينظرها أهل يوتوبيا الأغنياء لأهل شبرا من الأغيار الفقراء الذين يتم وصفهم بهذه الكلمة تمييزا لهم عن أهل يوتوبيا؛ للدلالة على الفارق الكبير بينهما.كما اتضح هذا التمييز من خلال نظرة الشك والتوجس التى يتبناها أهل "يوتوبيا "عن الأغيار،وعدم الاطمئنان إليهم، فهناك خوف دائم وكره ظاهر لهذه الفئة من الفقراء الأغيار، واعتقاد راسخ لدى أفراد الطبقة الغنية بأن مثل هؤلاء حاقدون عليهم بصورة مستمرة .وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة كنان حسين المعنونة:أنثروبولوجيا المكان وتغريب الهُويّة. قضايا العنصرية وتغريب الهوية على أسس مكانية ؛حيث توصلت هى الأخرى إلى وجود تمايز مكاني طبقي يعيشه السود في فضاء اجتماعي موحش يكرس مفارقات التموضع المجتمعي؛وهوما ينعكس بوضوح على طبيعة العلاقات الاجتماعية؛ إذ تكبر هوّة التباعد الثقافي والمعيشي بين البيض والسود، فتتكرّس النظرة الدونية تجاه السود، لتصل إلى حد تقبل سياسة التخلّص منهم وإبادتهم.

ج–ثقافة الفقر:وتتضمن ثقافة الفقر،التي يتمثلها المستبعدون جبريا في النص الروائى، مجموعة السلوكيات وأساليب الحياة الذى يتخذها هؤلاء للتكيف مع الفقر، وتتسم هذه الثقافة بملامح مادية تخص المكان، حيث يتسم المكان بالافتقار لكثير من الخدمات والمرافق ،إضافة لوجود ملامح غير مادية تتعلق بالأخلاقيات والسلوكيات الفاسدة التي يتم التأكيد عليها بوصفها نتيجة حتمية للعيش في مثل هذه البيئة المكانية ، كما يحاول منتج النص الربط بين أوضاع الفقر والفقراء،وبين التغيرات التي شهدها المجتمع في الفترة الزمنية التي يتناولها النص ، وبخاصة فى ظل تراجع الدولة وانسحابها بشكل أو بآخر عن تقديم الخدمات فى المجالات الأساسية لحياة هؤلاء البشر مع انتهاج سياسات الخصخصة والإصلاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى التى تمت فى فترة التسعينيات من القرن العشرين وما تلاها .

د–نظرة التبخيس الذاتى :وتبدو هذه النظرة من قبل الفقراء المستبعدين؛ لأنهم يعدون أنفسهم أقل مكانة وأقل وضعا من هؤلاء الأغنياء الذين يعاملونهم باعتبارهم عبيدا لديهم ، وتتأكد هذه النظرة من خلال الاعتقاد الراسخ لدى هؤلاء المستبعدين من الأغيار باحتقار الآخرين لهم،ومن جديد يتم التأكيد على وجود الانقسام الحاد بين أبناء المجتمع الواحد فى صورة شعبين أو مجتمعين .

هـ– الوصمة الاجتماعية:حيث يتم وصم الأغيار الفقراء من أهل شبرا بالجريمة والاتجار بالمخدرات والإدمان، وبأنهم أقل ذكاءا وأكثر خنوعا بعكس أهل يوتوبيا.وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة عبدالمعبود محمد عبدالرسول حول إشكالية الهوية المكانية لسكان المناطق العشوائية ،حيث أكدت وجود وصمة اجتماعية للمكان وساكنيه تطاردهم فى كل شئون ومجالات الحياه ،سواء فى التعليم أم العمل أم الزواج ،وعند الرغبة فى التواصل الاجتماعى.

و– التهميش الاقتصادى: ويعد التهميش الاقتصادى أحد المظاهر الدالة على أثر العولمة على تحولات المدينة كمكان اجتماعى ؛وتعبر الرواية عن هذه القضية من خلال الإشارة إلى الكيفية التى يتم بها استبعاد الفقراء من الأغيار من الوظائف الحيوية. ويتم التركيز على كونهم يشغلون فقط تلك الوظائف التى يأبى أو لا يليق بأحد من أهل يوتوبيا العمل بها.

ز–شيوع اليأس والإحباط: وقد تم التأكيد من قبل منتج النص على اليأس والإحباط حينما ربطهما بظاهرة بطالة المتعلمين التى يعانى منها الشباب فى المجتمع فى العقود الأخيرة ،كونها نتيجة حتمية يستشعرها المستبعدون حينما توجد هوة شاسعة بينهم وبين تحقيق أحلامهم لأسباب يضعها المجتمع والواقع فى طريقهم ،وحينما يكون تحقيق الذات قائما على مسوغات غير موضوعية كالوساطة وغيرها، دون الاهتمام بالكفاح والعمل الجاد ،وهو ما يدفعهم للعمل فى أعمال غير مشروعة .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة "روث لبتون وآن باور":السابق ذكرها التى أكدت وجود الاتجاهات السلبية نحو العمل وانخفاض مستوى الدافعية،وتضاءل فرص العمل فى القطاع الرسمى ، مما يدفع الأفراد للعمل فى بعض الأعمال الخدمية المؤقتة، والتجارة فى السلع المهربة أو المحظورة قانونا، والاتجار فى المخدرات...الخ، كما أن السكان من خلال افتقادهم الإحساس بالقدرة على التحكم فى البيئة التى يعيشون فيها،

وتحقيق الأمان فى يومهم وافتقاد الثقة فى الآخرين،غالبا ما يفتقدون الثقة فى قدرتهم على التحكم فى جوانب حياتهم الأخرى، وهو ما ينمى لديهم إحساسا بالعجز والاغتراب والتهميش وبخاصة الاقتصادى .

٢-النمط الآخر من الاستبعاد الذى تصوره الرواية هو الاستبعاد الإرادى:وهو استبعاد الطبقة المترفة التى يأتى استبعادها عن المجتمع بطريقة طوعية ؛ فتفرض على المنتمين لها عزلة اختيارية لتصير مجتمعا مغلقا.ويمثل هذه الطبقة فى النص أهل "يوتوبيا "المدينة المسيجة ،ويتسم هذا النوع من الاستبعاد هو الآخر بعدد من المظاهر يمكن إدراجها فيما يلى كما رصدها النص الروائى :

أ-العزلة الاجتماعية:وإذا كانت العزلة المفروضة على الأغيار فى النص عزلة جبرية ، فإنها هنا تتخذ شكلا طوعيا، ويصور النص الروائى هذه العزلة التى يفرضها أهل يوتوبيا على أنفسهم بطريقة طوعية من خلال إقامة مجتمعا منغلقا على ذاته داخل المجتمع الأكبر،عبر إقامة الأسوار العالية والبوبات الضخمة والأسلاك الشائكة المكهربة ،والاستعانة بجنود المارينز لتحقيق العزلة والانعزال التام عن المجتمع الخارجي خوفا من الاختلاط بالفقراء من المستبعدين جبريا .

ب-إعلاء المصلحة الفردية على المصلحة العامة : وينطبق هذا الرأى على من يسكنون يوتوبيا من أفراد الطبقة الثرية الذين لا تعنيهم سوى مصلحتهم الشخصية دون مراعاة لمصالح غيرهم من الفقراء،الذين يتم استغلالهم من أجل تحقيق أغراض ومصالح الطبقة الثرية.

ج-اغتراب الهوية وضعف الانتماء الوطنى لدى أهل يوتوبيا:حيث يتطرق النص لاغتراب الأجيال الجديدة ممن ينتمون لمثل هذه المجتمعات الجديدة ، وما يمثله ذلك من خطورة على قضية الانتماء الوطنى، ففى ظل الجهل والتجهيل بتاريخ الأمة يتحول الشباب لمجرد قطيع ممسوخ الهوية ، منقطع الصلة بجذوره في ظل ثقافة عولمية تغريبية تسلبه وطنيته قوميته، ويؤكد النص على هذه القطيعة المعرفية التي يتمثلها الشباب في إطارهم القيمى من خلال الحديث حول قضية العداء التاريخى مع إسرائيل وحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .ويؤكد النص كذلك على اغتراب الهوية وتفتتها من خلال التماهى مع الآخر المختلف حضاريا وثقافيا في ظل الحياة المترفة التي يعشها هؤلاء الشباب دون وجود هدف وغاية محددة ، هنا يبدو وكأن الاستبعاد المكانى فى يوتوبيا يلازمه استبعاد من نوع آخر يقوم على وجود قطيعة مع التاريخ فى ظل الانغماس فى الملذات الحسية التى يوفرها مجتمع يوتوبيا المعولم.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة إيمان جريدان :هوية المكان وتحولاته (قراءة فى رواية طوق الحمام) والتى توصلت إلى أن العولمة قد اخترقت الحدود الجغرافية ومسخت الأماكن، وأدخلت البشر فى متاهات التمزق والتشظى والتيه ، كما صورت الرواية استلاب الأماكن والسطوة عليها من البشر الذين يعملون على مسخها وطمس هوياتها .

د- الولع بثقافة الاستهلاك كنوع من التأكيد على إعادة التفاوت فى البنية الطبقية :ومن خليل تحليل النص تبين التأكيد على الولع بثقافة الاستهلاك، كمظهر أساس من مظاهر حياة المستبعدين إراديا، تلك الثقافة التي تقوم فى مجملها على تمجيد كل ما هو مادى بحيث يصير الاستهلاك واقتناء رموزه هدفا فى حد ذاته كنوع من التمايز

عن الآخرين. وتبدو هذه الثقافة واضحة بكل ما تتضمنه من رموز استهلاكية فى كل تفاصيل حياة أهل يوتوبيا من الطبقة المترفة، فالاستهلاك الترفى يعد مؤشرا على التمايز الطبقى داخل المجتمع،وهو لا يعكس التفاوت فى البنية الاجتماعية فقط،ولكنه أيضا يعيد التأكيد علي إنتاجه مرة أخرى.ويتضمن النص هذه المعانى من خلال الإشارة إلى الشعور بالعجز الذى تستشعره طبقة الفقراء المستبعدون من دائرة الاستهلاك الترفى ،الذى لا تقدر على الاقتراب منه، وحيث يتحول هؤلاء في ظل مجتمع الاستهلاك لإحدى آليات ثقافة الاستهلاك التى يتم توظيفها لخدمة الطبقات المترفة بفضل قوتها الشرائية التى تتيح لها شراء كل شىء بما فيه هؤلاء الفقراء.

هـ-الاستعلاء:وتتضح نظرة الاستعلاء من خلال شعور الفوقية التى يعشها أبناء الطبقة المترفة الذين ينظرون للطبقة الفقيرة بكونهم في درجة أو مرتبة أقل من البشر .

وأود أن أشير هنا إلى نتيجة مهمة يمكن استخلاصها من تحليل النص، وهى أن كلا المكانين (يوتوبيا وشبرا) يمثلان مكانا معزولا عن العالم الخارجي،مما يعنى انفصال الحياة والعلاقات الاجتماعية لقاطنى كل منهما عن البنية الاجتماعية الكبرى التي تشكلا في رحمها ؛ حيث يبدأ كل مكان منهما في إنتاج علاقات وتفاعلات اجتماعية وقوانين منفصلة عن بنية المجتمع الأكبر ،وهو ما يجعل من كليهما بيئة مكانية مغايرة للآخر،هذا من ناحية ،وبيئة مكانية مغايرة للمجتمع الأكبر من ناحية أخرى .

٣- وفيما يتعلق بسلطة المكان ودورها فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين داخل النص الروائى: فقد توصلت الدراسة – فى إطار التعامل مع رواية يوتوبيا على أنها نص روائي متعدد الأصوات ، ينطوى على عدة خطابات تنتمى لعوالم المستبعدين المختلفة- إلى أن المكان كان له دور كبير في تشكيل خطاب المستبعدين داخل النص، وبصورة عامة نجد نمطين من الخطاب: النمط الأول الخطاب ذو الثقافة التقليدية التي يتمثلها أهل شبرا (المكان)،الذى يمثل بيئة عشوائية فقيرة بعادتها وتقاليدها وملامحها العمرانية المتخلفة .أما النمط الآخر فهو الخطاب التغريبي المعولم الذى يمثله أهل يوتوبيا المكان المتضمن في كل تفصيلاته هذا النمط من الخطاب،سواء من الناحية العمرانية أم من الناحية الاجتماعية.ويمكن توضيح أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذا الشأن فيما يلى:

١-سلطة المكان ودورها فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين استبعادا جبريا: حاول النص توضيح أثر المكان فى علاقته بالبشر من حيث السطوة والسلطة التى يتحكم بها فى مصائرهم ،وفى تشكيل نمط حياتهم ،وفى حالة المستبعدين جبريا مثل المكان (شبرا) بيئة مكانية وثقافية ذات ملاح وقسمات مميزة ،ولذا تم تقديمه بكونه مكانا يفرض آلياته وقوانينه الخاصة التى تدعم الشعور بالعزلة والإنغلاق عن ما عداه من عوالم وأماكن أخرى ، فالنص يقدم الحى بوصفه عالما قائما بذاته، يعيش البشر فيه حياتهم الشخصية بعيدا عن سلطة المجتمع الأكبر ،ولذا ينتج هؤلاء نظاما من الضبط الاجتماعى الداخلى يقوم على سيطرة الأقوياء من أهل الحى على الضعفاء الذين يضطرون من أجل البقاء السير في ركابهم ،والاحتماء بهم ومسايرتهم؛ فقانون القوة هو الذى يسود المكان ؛حيث يقهر الضعفاء، ويدركون أن لهم حدودا لا ينبغي لهم تجاوزها إن أرادوا العيش بسلام ،كما يسهم المكان في إنتاج خطاب للمستبعدين تنهار فيه القيم والأخلاق ؛فالبيئة المكانية الفقيرة تدفع بقاطنيها للتنازل عن تلك القيم

والأخلاق، ويرتبط بذلك وجود خطاب موجه للمرأة في هذه البيئة المكانية يحط من شأنها، فيتم اختزال المرأة في مجرد كونها جسدا ، كما يتم تجريدها من إنسانيتها لتصبح سلعة يتاجر بها المسيطرون في سبيل الحصول على المال،ويتم تصدير هذه الصورة للنساء الفقيرات أنفسهن ؛ فيتم التعامل مع أجسادهن وفق هذا المنطق ، دون أن يشعرن أن في ذلك نوع من الإساءة إليهن ؛ بل يعتبرن ما يقمن به مهنة كأى مهنة أخرى في ظل مجتمع يدفعهن لذلك دفعا .وهنا يحاول منتج النص الربط بين قضية شرف المرأة وشرف المجتمع وقيمه وأخلاقه .وكأن انهيار أخلاقيات النساء دليل على انهيار أخلاقيات المجتمع وفسادها .

إضافة إلى ما سبق تتضح لغة وخطاب العنف كأحد السمات المرتبطة بالمكان في كل من يوتوبيا وشبرا؛ فالبرغم من اختلاف طبيعة المكانين والفرق الشاسع بينهما كما وكيفا ،إلا أن التطرف الشديد سواء المتعلق بالترف الشديد بالنسبة للمكان الأول،أو الفقر الشديد بالنسبة للمكان الآخر(شبرا) يسهم في إنتاج ذات الأنماط من العنف .

أما الهامشية فتمثل أحد مكونات خطاب المستبعدين في شبرا، وهنا يبدو أثر البيئة المكانية الفقيرة فيما تفرضه على البشر من خطاب تهميشى يدعو للاستسلام والرضوخ للواقع فى ظل حياة بلا معنى أو هدف؛ كونها بيئة تفتقر للمقومات اللازمة للحياة، ويحاول النص التأكيد علي معدلات الكثافة السكانية العالية لأهل شبرا ،التي تعد أحد مكونات خطاب الفوضى الذى يميز هذا المكان ؛ فالبرغم من الفقر والقهروعدم وجود رعاية طبية واجتماعية مناسبة ،إلا إنهم يستمرون في الإنجاب بمعدلات كبيرة .ومن المفارقات التي يؤكد عليها النص دور المكان شبرا فى تعميق الشعور بالتآلف والوحدة بين سكانه ،والذى أسهم في إيجاده الفقر الذى يوحد بين الجميع؛ فلا مجال للصراع أو الاختلاف الذى قد يشهده المجتمع فى قطاعات أخرى، وبخاصة على أسس دينية .

٢- سلطة المكان ودورها فى تشكيل وإنتاج خطاب المستبعدين إراديا : ومن خلال تحليل النص توصلت الدراسة لوجود خطاب للمستبعدين بصورة إرادية يبدو مغايرا بدرجة كبيرة عن خطاب المستبعدين بصورة جبرية في ظل بيئة مكانية مغايرة كلية من حيث الشكل والمضمون ، فالمكان (يوتوبيا) هوالآخر مكان مغلق له قوانينه الخاصة التي تحكمه وتحدد نمط الخطاب والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه، ويتضح هذا الانغلاق في وجود خطاب لغوى يتم من خلال مفرداته وتعبيراته التأكيد دوما على الاختلاف الكبير بين أهل يوتوبيا ،وبين الأغيار،كما يتم التأكيد على وجود فكرة موحدة ومتسقة يعتنقها أهل يوتوبيا ككل تقوم على الفصل التام بين العالمين ،وهو ما يوحى باستحالة حدوث أي نوع من الاندماج بينهما. وبصورة عامة تتكرر ثنائية نحن وهم ، وكذا ثنائية هنا وهناك للتأكيد على الاختلافات بين الفريقين.

كما توصلت الدراسة إلى أن مجتمع يوتوبيا يقدم خطابا يقوم في مجمله على الازدواجية والتناقض بين القول والفعل من ناحية، كما يحمل تناقضا أيضا بين أفعال الشخصيات في المجالين:الخاص والعام من ناحية أخرى،والملفت للنظر إدراك الشخصيات في هذا المكان لهذه الازدواجية ؛فهناك خطاب ظاهر يبدو في الحياة العلنية المتاحة للآخرين، وخطاب آخر يتم في الخفاء في المجال الخاص .

وتمشيا مع عصر العولمة والدعوة إلى تفتيت الهويات وفى ظل مجتمع يرزح تحت عبادة الأشياء والمظاهر المادية وفق ما يسمى مجتمع الفرجة يختلف معنى التدين في يوتوبيا؛ فيفقد محتواه ويتحول لمجرد شكل برانى ؛ ولذا يتم إنتاج خطاب وفهم للدين يتماشى مع طبيعة المكان المعولم حتى في تدينه ، وهنا يتم الاهتمام بالتدين الشكلى أكثر من التدين الفعلى .

ومن النتائج المهمة التي تم التوصل إليها من تحليل النص ما يخص أثر التباعد المكانى في تعميق هشاشة العلاقات والروابط الإنسانية بين البشر الذى تخلقه البيئة المكانية المغلقة،وبخاصة على مستوى الأسرة نفسها التي يفترض أن تقوم العلاقات بين أفرادها على التقارب والتواد؛ ففي مجتمع يوتوبيا يتم إنتاج نمط علاقات مغاير يقوم على تفسخ العلاقات الأسرية وانحلال الروابط بشكل فج،ويبدو ذلك في عدد من المظاهر التي يرصدها النص على مستوى لغة الحياة اليومية .

وقد توصلت الدراسة إلى أن هذا النمط من التباعد الاجتماعى الذى تصوره الرواية يتفق مع مفهوم الحب السائل الذى تحدث عنه" زيجمونت باومان"،فالحياة الاجتماعية في يوتوبيا يمكن تلخيصها في ظل الحداثة السائلة التي يعشها أهل هذا المكان في:آباء وأمهات معنيون بالدرجة الأولى بتكديس الأموال ،ونهب الفقراء لتحقيق ثروات طائلة وبتحقيق الرغبات المتجددة دوما في ظل ثقافة الاستهلاك الترفى ، أما الأبناء فتتلخص حياتهم ما بين السهر وتناول المخدرات ،والقيام بالمغامرات المجنونة والسلوكيات الشاذة وغير المسئولة والبحث عن المتعة المؤقتة والعارضة. ففي مثل هذه البيئة الاجتماعية يظهر نمط الإنسان المتمركز حول ذاته ورغباته الاستهلاكية اللحظية، والذى يعد أحد نتائج الحداثة السائلة التي تحدث عنها باومان ، ولا شك أن أهل المكان (يوتوبيا) هو خير من يمثل ذلك النمط الإنسانى . إنسان الحداثة السائلة .

عاشرا: الدلالات النظرية والتطبيقية لنتائج الدراسة :

١- الدلالات النظرية لنتائج الدراسة :

أ- يمكن تفسير وفهم العلاقة بين المكان وخطاب الاستبعاد الاجتماعى كما صورته رواية "يوتوبيا " من خلال الاستعانة بالاتجاه التأويلى الذى يقوم على الربط بين النصوص المدروسة وسياقاتها العامة التى تظهر فيها هذه النصوص، فالتأويل لا يتم بغرض فهم النص فقط ، ولكنه مرآة تقرأ الذات الإنسانية من خلاله ذاتها. ووفقا لذلك أمكن استخدام طريقة تحليل النص للكشف عن الطريقة التى حاول النص الروائى من خلالها إعادة إنتاج المكان اجتماعيا، وكيفية تشكيل خصائصه العمرانية فى علاقتهابالخصائص الاجتماعية والثقافية المرتبطة بتنامى ظاهرة الاستبعاد على أسس مكانية، وذلك من خلال استنطاق النص، ومحاولة البحث فى المسكوت عنه ، فليس الغرض من تأويل النص فهمه فقط، ولكن البحث فى الكيفية التى تشكل من خلالها الفهم الجمالى والفنى للظواهر الاجتماعية ،والتى تمثلها ظاهرة " الاستبعاد الاجتماعى فى ارتباطه بالمكان .وقد ظهر ذلك جليا من خلال اختيار منتج النص لمكان وزمان وشخصيات الرواية بطريقة ساعدت على إبراز القضية المدروسة من خلال تقديم الصورة والصورة المضادة لها .

ب–وارتباطا بما تتضمنه عملية التأويل من مراوحة بين مجتمعين: مجتمع النص والمجتمع الواقعى ،وهو ما يستتبع البحث فى علاقة النص بتاريخ المجتمع وبنائه الاجتماعى وطبقاته وتفاعلاته الاجتماعية، فقد تمت الاستفادة من هذه المقولة عند تحليل أنماط الاستبعاد المكانى ومظاهره، سواء أكان استبعادا إراديا أم جبريا من خلال المراوحة بين ما يصوره النص ، وما يوجد فى الواقع الفعلى عبر الاهتمام بالمسكوت عنه فى خطاب الرواية، والكشف عما يتوارى خلف المقولات من بنى وممارسات تسهم فى إعادة فهم ظاهرة الاستبعاد الاجتماعى القائمة على أسس مكانية عبر المرواحة بين داخل النص وخارجه .أى الارتباط بين تأويل وفهم النص وتفسيره.

ج–يعد التأويل محاولة من أجل فهم العالم وتفسيره من خلال اللغة.وقد أمكن الاستفادة من هذه المقولة من خلال التعامل مع الرواية بكونها نصا روائيا متعدد الأصوات ، ينطوى على عدة خطابات، فاللغة المقدمة فى النص عكست ظواهر التمايز الطبقى المكانى بصور كبيرة من خلال إقامة ثنائية ضدية بين لغة وخطاب جماعة ال (نحن)،ولغة وخطاب جماعة (الهُم) أو (الآخر) التى يمثلها كل فريق من الفريقين، حيث ساعدت اللغة فى إظهار القيم المتصارعة التى تتبناها كلتا الجماعتين، كما أمكن من خلال اللغة المطروحة التفرقة بين نمطين من الخطاب السائد فى النص: النمط الأول الخطاب ذو الثقافة التقليدية التي يتمثلها أهل شبرا (المكان) ،الذى يمثل بيئة عشوائية بمفرداتها وبعادتها وتقاليدها وملامحها العمرانية المتخلفة .أما النمط الآخر فهو الخطاب التغريبي المعولم الذى يمثله أهل يوتوبيا المكان المتضمن في كل تفصيلاته هذا النمط من الخطاب، سواء من الناحية اللغوية أم العمرانية أم من الناحية الاجتماعية.

٢– الدلالات التطبيقية لنتائج الدراسة :

وإذا كانت الدراسة الراهنة قد تمكنت من الإجابة عن التساؤلات التى حددتها لنفسها، فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة قد تفتح المجال أمام دراسات مستقبلية تحاول البحث فى مجال الرواية كمنتج أدبى له القدرة على تصوير الظواهر والقضايا الاجتماعية بطريقة تتيح مزيد من الفهم بما تمتلكه من رؤى للعالم تتجاوز الفهم السطحى ومحاولة النفاذ لحقيقة الظواهر وسبر أغوارها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تفتح هذه الدراسة المجال أيضا للبحث فى مجال علم اجتماع المكان بكونه من المجالات البحثية الحديثة التى تعانى نقصا كبيرا فى مجال الدراسات والبحوث العربية والمصرية على السواء .

الهوامش :

[1]) عبدالرحمن عزى،عولمة المكان الرمزي وتفكك العلاقة القيمية والتاريخية مع الأرض في المنطقة العربية،المستقبل العربى ،بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية، مج ٣١ ، ع ٣٥٢ ،، ٢٠٠٨ ، ص ٢٥.

[2])M. S. Sandeep and M. N. Ravishankar, Exploring the "Impact" in Impact Sourcing Ventures: A Sociology of Space Perspective, Brian Nicholson, Ron Babin& Mary C. Lacity(editors), Socially Responsibles, Outsourcing Global Sourcing with Social Impact, New York : Palgrave Macmillan, 2016.p50

[3]) I bid,.p52.

[٤])سيدي محمَّد بن مالك،المكان المُـغـايِـر في منظور ميشال فوكو، مجلة فكر الثقافية ،الجزائر المركزالجامعى مغنية ،٢٠٢٠ ،متاح على الرابط ،http://fikrmag.com

[٥]) مى التلمسانى ،الحارة في السينما المصرية (١٩٣٩—٢٠٠١) ترجمة : رانيا فتحى ، القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، العدد ٢٣٠٧ ، ٢٠١٤ ، ص ٣٠ .

[6])Paul M. Smith , Spaces of sustainable development in the Lower Hunter Regional Strategy: An application of the 'cultural sociology of space, Elsevier Ltd, Geoforum, Volume 43, Issue 1, January 2012, , p 36 .

[٧])عبدالمعبود محمد عبدالرسول. إشكالية الهوية المكانية لسكان المناطق العشوائية : دراسة حالة لمنطقة الكيلو ٢ بمدينة الإسماعيلية ، حوليات آداب عين شمس ، المجلد ٤٣ (أكتوبر –ديسمبر) ، ٢٠١٥ ، ص ١٨٣ .

[٨]) محسن عوض، قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية .نحو مقاربات جديدة لمكافحة التهميش في العالم العربي، المعهد العربي لحقوق الإنسان، ٢٠١٢، ص ص ٧- ٨، متاح على الرابط :
http://aohr.net/portal/wp-content/uploads/2015/10/%D9%82%D8%B6

[٩]) على زيد الزعبى ، العولمة والنمو الحضرى ومستقبل المدينة : التفاعل والمخرجات ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٢٢ ، عدد (٣)، ٢٠١٢، ص.ص. ٦-٧ .

[١٠]) نعمان عباسى ، إحياء شبكة العلاقات الاجتماعية كاستراتيجية لمكافحة الاستبعاد الاجتماعي،٢٠١١، ص١.متاح على الرابط :
https://www.researchgate.net/publication/298797440_ahya_shbkt_allaqat_alajtmayt_kastratyjyt_lmkafht_alastbad_alajtmay

[١١])مصطفى عبدالغنى ، الاتجاه القومى في الرواية ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، العدد ١٨٨، ١٩٩٤ ، ص ١٤ .

[١٢])حنان أمزيان وسمية بركات، جماليات تشكيل المكان في رواية الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي- أنموذجا-رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي- ،و زارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٧، ص ١٣.

[١٣]) سعاد أمين، المكان والهوية في " الأسود يليق بك " رؤية سردية ، مجلة جسور، الجزائر ، العدد (٥)، ٢٠١٧، ص ٧١ .متاح على الرابط :
http://search.mandumah.com/Record/823833

[14])M. S. Sandeep and M. N. Ravishankar , Op.Cit, .p49.

[١٥])إيمان جريدان، هوية المكان وتحولاته (قراءة فى رواية طوق الحمام ، بدون بلد نشر ، دار كافى للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٢٠، ص ٢٨.

[16])Martina Löw, The Sociology of Space ,Materiality, Social Structures, and Action, Translated from the German by Donald Goodwin, New York, Library of Congress, Palgrave Macmillan, 2018, Pvii.

[١٧]) سرير أحمد بن موسى ، هنرى لوفيفر :من الحق في المدينة إلى هرمنيوطيقا المدينة ، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المتجتمع والتاريخ ، مجلد ١٥ ، العدد(٢) ،الجزائر ، ٢٠١٩، ص ٢٥١.

[18])Francesco Biagi, Henri Lefebvre'sCritical Theoryof Space, Marx, Engels, and Marxisms, London-New York, Palgrave Macmillan, ,2020, p 123

[19])Christian Kesteloot., Maarten Loopmans & Pascal De Decker, Space in sociology: an exploration of a difficult conception, in: D., Boyser K.,Dewilde C., Dierckx D.& Friedrichs J. (eds.) Between the social and the spatial, exploring the multiple dimensions of poverty and social exclusion, Ashgate, Farnham ,2009,p114
https://www.researchgate.net/publication/290988765_Space_in_sociology_An_exploration_of_a_difficult_c

[20]) Martina Löw, Op.Cit , P26.

[٢١])أنتونى جيدنز بمساعدة كارين بيردسال، علم الاجتماع مع مداخلات عربية ، ترجمة وتقديم فايز الصُياغ ، لبنان – بيروت ، المنظمة العربية للترجمة " مؤسسة ترجمان " ، ٢٠٠٥ ، ص ١٨٢ .

[22]) Phyllis R. Magrab, Social Exclusion and Children: A Brife Review Of Selected Literature, 1998,p3.
https://www.researchgate.net/publication/228923254_Social_exclusion_and_children_A_brief_review_of_selected_lite

[٢٣]) إيناس محمد غزال ، الاستبعاد الاجتماعى للمرأة العاملة فى قطاع العمل غير الرسمى فى المجتمع المصرى -دراسة سوسيولوجيةعلى عينة من النساء المعيلات فى مدينة الإسكندرية، حوليات أداب عين شمس ، المجلد ٤٣، (ابريل – يونية)٢٠١٥، ص ٢١.

[٢٤])حوراء محمد على قاسم ، الاستبعاد الاجتماعى وعلاقته بسلوك الاحتجاج (رؤية نظرية) ، مجلة الفلسفة ، العدد (١٤)، ٢٠١٦ ، ص ١٣٥ .متاح على الرابط :

https://www.iasj.net/iasj/article/124944

[٢٥])تانيا بورتشارد .جوليان لوغران ودافيد بياشو ، المقدمة ، في جون هيلز وآخرون ، الاستبعاد الاجتماعى محاولة للفهم ، ترجمة : محمد الجوهرى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطنى للعلوم والفنون ، العدد ٣٤٤،٢٠٠٧ ، ص ٢٤.

[26])Regina Berger –Schmitt,Heinz-HerbertNoll,Concepttual framework and structure of aEuropean system of social Indicators, EU RepotingWorkingPaperNo.9Towards aEuropean system of social reportingand WelfareMeasurement,Center of surveyResearch and Methodology(ZUmA),Social Indecators Depart ment,mannheim, 2000,P17

[27])Jo Beall, Globalization and social exclusion in cities: framing the debate with lessons fromAfrica and Asia, Environment&Urbanization ,Vol 14, No 1, International Institute for Environment and Development, April 2002,P43.
http://www.sagepublications.com

[٢٨]) روبين بيس،الاستبعاد الاجتماعى: مفهوم يحتاج إلى تعريف،ترجمة: مازن مرسول محمد ، عمران ،العدد ٤/١٤، ٢٠١٥ ، ص ١٣٢.

[29]) Jo Beall, Op.Cit.,P44.

[٣٠]) على عبدالرازق جلبى ،الاندماج الاجتماعى والمواطنة النشطة . مصر بعد ثورة ٢٥ يناير نموذجا ، المؤتمر السنوى الثانى للعلوم الاجتماعية والإنسانية ٣٠-٣١ آذار /مارس ٢٠١٣ ، الدوحة – قطر ،المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات ، ٢٠١٣ ، ص ٦.

[٣١]) عبد المعبود محمد عبد الرسول، إشكالية الهوية المكانية لسكان المناطق العشوائية دراسة حالة لمنطقة الكيلو ٢ بمدينة الإسماعيلية ،مرجع سابق .

[٣٢]) كنان حسين : أنثربولوجيا المكان وتغريب الهُويّة قراءة في روايات عربية وعالمية عن العنصرية، (٢٠٢٠)متاح على الرابط :
https://aljadeedmagazine.com/%D8%A3%D9%86%D8%AB%D8%B1%D8%A8%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%83%D8%A7%D9%86-

[٣٣])قصي جاسم أحمد الجبوري ، المكان في روايات تحسين كرمياني، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، ٢٠١٦.

[٣٤]) أمينة بوشلالق: المثاقفة والسيرة الذاتية فى خارج المكان لإدوارد سعيد، رسالة ماجستير ،قسم الآداب واللغة العربية ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خضر – بسكرة ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ،وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، ٢٠١٦.

[٣٥]) حنان أمزيان وسمية بركات،مرجع سابق .

[٣٦]) إيمان جريدان، مرجع سابق .

[37]) Jo Beall, , Op.Cit.

[٣٨])روث لبتون وآن باور ، الاستبعاد الاجتماعى والأحياء السكنية: في: جون هيلز وآخرون ، الاستبعاد الاجتماعى محاولة للفهم ، ترجمة : محمد الجوهرى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطنى للعلوم والفنون ، العدد ٣٣٤ ، ٢٠٠٧.

[٣٩]) حسن عبدالرحمن البرمسل ، تأويل الفعل في سياق النسق الاجتماعى (دراسة على الجالية الفلسطينية الراهنة)،المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية ،جامعة العلوم التطبيقية الخاصة ، المجلد ٢١، العدد (١)، ٢٠١٩ ، ص ٢.

[٤٠]) بن معمر بوخضرة ،التأويلية والنص الأدبى (إشكالية المنهج) ،الأثر مجلة الآداب واللغات –العدد التاسع، جامعة قصدى مرباح – ورقلة الجزائر ، ٢٠١٠ ، ص ٢٢٨.متاح على الرابط :

https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-09-2010/846-2013

[٤١]) على حرب، التأويل والحقيقة . قراءات تأويلية في الثقافة العربية ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧ ، ص ٨و١٤ و ٢٣.

[٤٢])واضح عبدالحميد ، إشكالية التأويل وأنموذج النص في الفلسفة الغربية المعاصرة . قراءة في هيرمنيوطيقا " بول ريكور " رسالة دكتوراة منشورة ، شعبة الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبدالحميد بن باديس مستغانم ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ٢٠١٦، ص ٧ .

[٤٣]) المرجع السابق ، ص ١١.

[٤٤]) أحمد زايد ، الهيرمنيوطيقاوإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الرابع عشر ، جامعة قطر ١٩٩١ ، ص ص٢٥٠- ٢٥١.

[٤٥])هبة رءوف عزت ، تجديد الجدل النظرى حول الدين والعلمنة . ما قبل تجديد الخطاب الدينى ، في : إبراهيم البيومى غانم وأخرون ، حال تجديد الخطاب الدينى في مصر (تحرير) نادية مصطفى وإبراهيم البيومى غانم ، المجلد الأول ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٢ .

[٤٦])صالح أحمد صالح الشعيبى ، النص السردى اليمنى " قراءة نحو علم اجتماع النص " (الجواد الذى فقد صوته) أنموذجا ، مجلة التواصل ، جامعة عدن ، نيابة الدراسات العليا والبحث العلمى ، العدد (٢٤) ، ٢٠١٠ ، ص ١٢٩ .

[٤٧]) صالح أحمد ، علم اجتماع النص الأدبى : مفاهيم نظرية وأدوات منهجية ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، مركز جيل للبحث العلمى ، العدد ٤٣ ، ٢٠١٨ ، ص ٢٨ . متاح على الرابط :

http://search.mandumah.com/Record/928532

[48])https://ar.wikipedia.org/wiki/
[٤٩])على عبدالرءوف، شعب وميدان ومدينة . العمران والثورة والمجتمع . القصة الإنسانية والمعمارية والعمرانية لميدان التحرير، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات ، ٢٠١٩ .متاح على الرابط
http://books.google.com

[٥٠]) أحمد خالد توفيق ، رواية يوتوبيا ، القاهرة ، دار ميريت للنشر ، ٢٠٠٨ ، ص ١٣٧.
[٥١]) مى التلمسانى ، مرجع سابق ، ص ١٨ .
[٥٢]) إبراهيم محمد زين ، صناعة المكان وسؤال الهوية في موسم الهجرة إلى الشمال. جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الأدبى (الدورة الثامنة)، ٢٠١٨ ، ص ٨ متاح على الرابط :
https://www.sd.zain.com/Arabic/Eltayeb_Salih/Awards/AwardEight/SessionPapers/%

[٥٣])على زيد الزعبى ، مرجع سابق ،ص.ص.٣٥- ٣٦
[٥٤])الرواية ، ص ٢٠
[٥٥])الرواية ، ص ٢٠
[٥٦]) بريان بارى ، الاستبعاد الاجتماعى والعزلة الاجتماعية وتوزيع الدخل ، في : جون هيلز وآخرون ، الاستبعاد الاجتماعى محاولة للفهم ، ترجمة : محمد الجوهرى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطنى للعلوم والفنون ، العدد ٣٤٤،٢٠٠٧ ، ص ٥٠.
[٥٧] زيجمونت باومان ، الحب السائل .عن هشاشة الروابط الإنسانية ،ترجمة :حجاج أبوجبر ، تقديم : هبة رءوف عزت ، بيروت ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ٢٠١٦ ،ص ١٥٠.
[٥٨])الرواية ، ص ٢١ .
[٥٩])الرواية ، ص ٢٢.
[٦٠] ا)لرواية ، ص ٤٩ .
[٦١])الرواية ، ص ٥٤.
[٦٢])الرواية ، ص ٦٤و ١١٦ .
[٦٣])الرواية ، ص ٦٥
[٦٤])عبد المعبود محمد عبدالرسول. جلال محمد نجيب محمد مهنى ، الأبعاد الاجتماعية للعدالة البيئية فى المجتمع المصرى دراسة ميدانية على بعض المناطق العشوائية بمدينة الإسماعيلية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المؤتمر السنوى السادس عشرقضايا البيئة وجودة الحياة "نحو استراتيجية مصرية شاملة خلال الفترة من ٢٢- ٢٤ديسمبر ٢٠١٤، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ١٥

[٦٥])على عبدالرازق جلبى ، مرجع سابق ،ص ص١٣-١٤ .
[٦٦]) بريان بارى ،مرجع سابق ، ص ٥٠.
[٦٧]) بدرة عاشور و أحمد فريجة ، مظاهر الاستبعاد الاجتماعى .دراسة نظرية ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، المجلد (٨) العدد (٢) ، ٢٠١٩ ، ص ١٠٠.
[٦٨]) على عبدالرازق جلبى ، مرجع سابق ، ص ٣٦.
[٦٩])الرواية ، ص ٨٨ .
[٧٠])الرواية ، ص ١٢ .
[٧١])الرواية ، ص ١٢ .
[٧٢])الرواية ، ص ٣١ .
[٧٣])الرواية ، ص ٩٥ .
[٧٤])عبد السلام سليمة ، مظاهر الاستبعاد الاجتماعي في المجتمع المحلي الريفي(دراسة تحليلية)، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد السادس ، ص ٣٥٦.
[٧٥])عزة كريم ،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأسرة فى التجمعات العشوائية ، العشوائيات فى المجتمع المصرى .أوضاع الحاضر واحتمالات المستقبل ،المؤتمر السادس والثلاثون للإحصاء وعلوم الحاسب الآلى وتطبيقاتها ٢٦-٢٠١١/٤/٢٧،القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية الجنائية ، ٢٠١٤ ، ص ٢٥.
[٧٦])الرواية ، ص ص ٥٠-٥١ .
[٧٧] ا)لرواية ، ص ص ١٠٦- ١٠٧
[٧٨])الرواية ، ص ١٣٧
[٧٩])الرواية ، ص ٢٣
[٨٠])الرواية ، ص ١٣٢
[٨١] ا)لرواية ، ص ١٠ .
[٨٢])مى التلمسانى ، مرجع سابق ، ص ٨٤.
[٨٣])الرواية ، ص ٥٣ .
[٨٤])الرواية ، ص ١١٩.
[٨٥])الرواية ، ص ١٤٩ .
[٨٦])الرواية ، ص ١٤٦
[٨٧])الرواية ، ص ١٦٨ .
[٨٨])الرواية ، ص ١٥٠
[٨٩])عبدالمعبود محمد عبدالرسول ، مرجع سابق ، ص ١٨٨.
[٩٠])الرواية ، ص ١٨٩.

[٩١])ساسكيا ساسن ، علم اجتماع العولمة ، ترجمة على عبدالرازق جلبى ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين ، العدد ٢٠٤٨ ، القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٤ ، ص ١٢٦ وص ١٢٩ .
[٩٢])الرواية ، ص ١٧٠- ١٧١ .
[٩٣])الرواية ، ص ٤٠ .
[٩٤]) الرواية ، ص ٨٠ .
[٩٥]) الرواية ، ص ١١١ .
[٩٦]) الرواية ، ص ١٣٩.
[٩٧]) الرواية ، صص ٦٩- ٧٠ .
[٩٨]) الرواية ، ص ١٧٠ .
[٩٩]) بريان بارى ، مرجع سابق ، صص ٥٩-٦٠ .
[١٠٠]) الرواية ، ص ١٣٧ .
[١٠١]) الرواية ، صص ٢٧و ٨٦.
[١٠٢]) عبدالرحمن عزى ،مرجع سابق، ص٢٥.
[١٠٣]) الرواية ، ص ٢١ .
[١٠٤]) الرواية ، ص ١٠٧
[١٠٥]) الرواية ، ص ١٠٧.
[١٠٦]) الرواية ، ص ١٧٥ .
[١٠٧]) الرواية ، ص ١٤.
[١٠٨]) الرواية ـ ص ص ١٠٧- ١٠٨ .
[١٠٩]) الرواية ، ص ١٥
[١١٠]) الرواية ، ص ص ١٣- ١٤
[١١١]) الرواية ، ص ١١٩ .
[١١٢]) الرواية ، ص ٢٨.
[١١٣]) الرواية ، ص ٢٧.
[١١٤]) جوليت شور ، ماذا حدث في المجتمع الاستهلاكى ؟ الإنفاق التنافسى والنزعة الاستهلاكية الجديدة ، في : روجر روزنبلات ، ثقافة الاستهلاك . الاستهلاك والحضارة والسعى وراء السعادة ، ترجمة : ليلى عبدالرازق ،القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، العدد ١٨٣٣ ، ٢٠١١ ، ص ٥٠- ٥١.
[١١٥]) جان باكولسكى ،مرتكزات التحليل ما بعد الطبقى ، في : إريك أولن رايت (محررا) ، مداخل إلى التحليل الطبقى ، ترجمة : خالد عبدالفتاح ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠١٨، ص ٣٤٨.
[١١٦]) الرواية ، ص ١٧٤.
[١١٧]) الرواية ، ص ١٦٥ .
[١١٨]) الرواية ، ص ٢٤.
[١١٩]) الرواية ، ص ١٦٤ .
[١٢٠]) الرواية ، ص ٣١ .
[١٢١]) ريتشارد فان ليوين ، سحر المكان في روايتين لجمال الغيطانى وهدى بركات ، في : بطرس الحلاق وأخرين ، شعرية المكان في الأدب العربى الحديث ، ترجمة : نهى أبوسديرة وعماد عبداللطيف ، القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، العدد (٢٢٢٨) ، ٢٠١٤ ، ص ص ١٩٨- ١٩٩.
[١٢٢]) فاتن شوقى على ، دلالات المكان في رواية "شارع الخلا"، الرواية .قضايا وأفاق ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد ١٢، ، ٢٠١٤ ص ٢٦٩ -٢٧٠.
[١٢٣])عبدالملك مرتاض ، فى نظرية الرواية. بحث فى تقنيات السرد ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٤٠، ١٩٩٨ ، ص ١٥٨.
[١٢٤])جراهام ألين ، التناص ، ترجمة : محمد الجندى ، العدد ٢٦٦٧ ، القاهرة ، المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٦ ، ص٣٧.
[١٢٥]) زيجمونت باومان ، مرجع سابق ،ص١٤٥.
[١٢٦] ريتشارد فان ليوين ،مرجع سابق ،ص٢٠١.
[١٢٧]) الرواية ، ص ١٤١
[١٢٨])الرواية ، ص ٧٨.
[١٢٩])الرواية ، ص ٨٠ .
[١٣٠])الرواية ، ص ٥٤ .
[١٣١]) الرواية ، ص ١٣٢ .
[١٣٢]) الرواية ، ص ص ٦٣- ٦٤
[١٣٣]) عزة كريم ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥-٢٦
[١٣٤]) الرواية ، ص ٥١، ص ص ١١٦- ١١٧ .
[١٣٥]) الرواية ، ص ص ٦٥- ٦٦ .
[١٣٦]) الرواية ، ص ٢٤
[١٣٧]) الرواية ، ص ٢٣
[١٣٨]) الرواية ، ص ١٧٦.
[١٣٩]) زيجمونت باومان ،مرجع سابق ،ص ص ١٥٣- ١٥٤ .
[١٤٠]) المرجع السابق ، ص ١٥٧.
[١٤١]) مى التلمسانى ، مرجع سابق ، ص ٨٧.

[١٤٢]) الرواية ، ص٩٥
[١٤٣]) الرواية ، ص ١٥٣
[١٤٤]) الرواية ، ص ٣٩ .
[١٤٥]) الرواية ، ص ٣٧.
[١٤٦]) الرواية ، ص ٣٧
[١٤٧]) الرواية ، ص ٢١
[١٤٨]) الرواية ، ص ٤٤
[١٤٩]) الرواية ، ص ٢١.
[١٥٠]) الرواية ، ص ٥٢
[١٥١]) الرواية ، ص ١٥.
[١٥٢]) الرواية ، ص ١٧.
[١٥٣]) الرواية ، ص ٤٧.
[١٥٤]) الرواية ، ص ١٠٩.
[١٥٥]) الرواية ، ص ٢٥.
[١٥٦]) الرواية ، ص ١٦ .
[١٥٧] زيجمونت باومان ،مرجع سابق ، ص ١٦
[١٥٨])مى التلمسانى ، مرجع سابق، ص ٨٧.
[١٥٩])الرواية ، ص ١٣٨و ص ١٧٠

Place and the Discourse of Social Exclusion in the Egyptian Novel: A Study in Sociology of Literature

The main objective of the current study is to attempt to observe the relationship between place and the discourse of social exclusion as tackled in the Egyptian novel. The hermeneutic approach is used as a theoretical orientation for the study in addition to the textual analysis methodology that has been applied to the study sample represented in *Utopia*, a novel by Ahmed Khaled Tawfik. The study comes up with several results, including: the detection of the physical and social characteristics and features related to the place, allowing it to be reproduced socially within the text, which resulted in the presence of two places within the text, each representing a spatial environment different from the other, which contributes to finding different patterns of exclusion. The textual analysis reveals the existence of two types of exclusion, the reasons and manifestations of each of them differ according to place. These two patterns are involuntary exclusion and voluntary exclusion. The place played a role in the emergence of a traditional discourse for the involuntarily excluded people, a discourse which is compatible with the slum environment with its customs, traditions and urban features in which they are located, while a globalized alien discourse appears and is represented by the people of Utopia, the globalized place from urban or social perspectives.

Keywords: Place, exclustion, social exclusion, discourse of exclusion.